ثقب أسود

حسن الشواف

ثقب أسود
حسن الشواف
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2016/15364
ترقيم دولي: 978-977-85225-2-1

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla,pub@gmail,com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٦
الطبعه الثالثه نوفمبر ٢٠١٧

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

ثقب أسود

(في الظلام كُل شيء ممكن كُل شيء مُخيف)

حسن الشواف

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء :

لم أر قط، و لن أرى أبدًا أحد أحق بالإهداء مِن القارئ فهذا الإهداء لك سيدي القارئ، أنت من دفعت جزءاً من وقتك و مالك لتقرأ كلمات كاتب قد تعرفه أو لا، باختلاف أسباب قراءتك، أتمنى أن تعبر –بالقراءة – صفحات الكتاب بسلاسة لها رونقها، وأن تجد بين ضفتي كتابي متعة واستفادة ورحلة مختلفة مشوّقة تنسجها تصورات عقلك، في النهاية لا أملك إلا أن أقول . . شكرًا لك .

حسن الشواف

ملحوظة هامة :

جميع أفكار هذه الرواية نابعة من خيال الكاتب، ولا تمتّ بصِلَة لأرض الواقع إلا ببعض النقاط القليلة، ولم يثبتها العلم إلى الآن .

ما حدث لم يكُن طبيعيًّا قط . . كان الجنون يسوق الأحصنة ويجر خلفه عربة الأحداث للهاوية، الظلام بشع مُخيف يحمل الأهوال ويلقيها في مرجل قلبك فيزداد أزيزه، يجمع فتات عقلك وينحط بها لمنحدر الجنون، بالتأكيد شاهدتم والعالم أجمع معكم، لكنكم كُنتم في المقعد الخلفي مِن العربة، أما أنا كُنت مِن الذين كانوا على الأحصنة التي يسوقونها، وسط الصراع مِن بدايته لنهايته .

كما قال صديقي - لا أحب المقدمات الطويلة والمبالغة فيها -

لذلك سأبدًا في الإجابة عن السؤال الأول

- كيف كانت البداية ؟! -

البداية كانت لغز

(٠)

يلهث بشدة . . ينظر حوله مُشتت النظرات مُحتار الأحداق . . حدسه مشلول تحت وطئة الدماء في يده، فصاحب الدماء أمامه على الأرض في مرقده الأخير، تترقرق دمائه من جرح رأسه وتنسل بحرارة تشهد أن الحياة كانت هُنا تنبض .

مدّ يده وما طالت ما يريد، فأطالت عليه الوقت وثقله بين خبايا سجنه الذي يقبع خلف قضبانه، يكاد يصل إلى مفتاح سجنه في جثة سجّانه، لكن يداعب المفتاح ببريقه أصابعه بالأمل تارة وباليأس تارة أخرى .

بدأت الجدران -المقابلة لسجنه -تُردد صوت وطء أقدام يقترب منه كُل حين، تزيد حدته فتعاظم جنون قلبه وأخذه عقله تحت أثر الوطء لغياهب الخوف .

مد يده أكثر حتى ما عاد بين كتفه والفراغ بين القضبان مناص، حيك له ثوب الفزع وبدأ خياله يُقلبه في سجايا الخوف، يسقط ماء عرقه على يده الممدودة ساكبة عليها الوجل .

انتشل المفتاح وهمّ سريعًا يفتح باب سجنه، انتزع نفسه مِنه فأحس أنه بدلّ جلده كما الحيّة، فلاقاه ظل القادم على وهج شُعل النيران . . يجول في رأسه سؤال بمطرقة يفتك بها عقله - ماذا أفعل ؟! -

بعد ثوانٍ . . دخل عليه صاحب الخطوات فوجده في زنزانته كما هو، نظر له بوجوم روتيني وراح يكمل مسيره، رأى آثار دماء على الأرض، فتبينها وتبع آثارها كهائم اتبع هواه .

وجد كوة عمودية مُستطيلة الشكل يقبع فيها ظل يداعبه فهام ورائه، ما أن بسط يده للظل حتى سقطت عليه جثة الحارس الأخر فأمسكه بين ذراعيه قبل السقوط ودمائه نُثرت عليه، أخرج سلاحه واستدار فعاجله السجين بضربة قوية مِن الحجر ذاته قاتل صاحبه .

سار السجين بساقين مُضطربتين عاريتين تلاطمهما الأرض بالخشونة حتى بلغ درجًا عرج إليه، في نهايته وصل لطابق يواجه بنافذته الخارج، تنفس الصعداء لمرأى الأمطار وهي تلامس التراب، أحس أن موطنه بالخارج حيث الطين المُنشأ، تقدم تجاه النافذة وتمعن فيما تكشف، يتلصص على الخارج كما يتلصص إبليس على الجنة، يكاد يُنهي سجنه بوثبه للخارج لكن الأمر لن ينتهي هكذا . . يجب أن يقتله .

أدار وجهه ليرى درجين عظيمين يتلاقيان في الطابق الأعلى، صعد على أحدهما حتى وصل لغرفة بهوها كبير، يقف في شرفتها شخص يتنفس رحيق السماء المُمطرة .

تقدم السجين نحوه وهو يمسك آداة حادة التقطها من جانب الغرفة، دخل حيّز الشرفة وأنفاسه تُصقل بالصمت، رفع يده وهوى بها على ظهره فأحس أن النصل قد جار ألمه عليه أيضًا، لكنه أكمل وشد أزر نفسه وزاد انغراس السكين فيه، والشخص الذي طُعن تتقطع أنفاسه ألمًا .

أدار المطعون وجهه إلى طاعنه، فتلاقى بنفس الملامح، وجهان متماثلان يقفان أمام بعضهما، اضطرب السجين أكثر فضربه بنصله في صدره فأحس بها أيضًا وكلّ جسده وسقط النصل وسقطا معًا .

خرج مِن جرح المطعون خيوط مُظلمة قاتمة يُزيد خروجها الجرح اتساعًا، أخذ يصرخ بعنف وملامحه تتبدل لشخص آخر، والسجين مُسجى على

الأرض جانبه بلا حراك، زحف المطعون بوجهه الجديد نحو السجين ونظر له بعيون شيطانية مُخضبة بالحمرة .
صرخ في وجهه بقوة فزادت الخيوط السوداء حتى سادت المكان، وسط نعيق غراب يأتي من بعيد .

(١)

يحلق غراب بين خيوط الليل العَتْم وسط رياح البحر أسفله، مُحدد المسير كسهم انطلق مِن فارس مغوار، قاوم الرياح بموضع جناحيه فتبطأت سرعته، وأرسى قدميه السوداوين أعلى مرسى جبلٍ تحاوطه المياه .

يطرق بمنقاره رأس الفتاة الجاثمة أمامه، فيقرع غياهب وعيها لتبدأ بتسلق غاية استفاقتها، فنظرت للغراب مِن ممكثها والريح يداعب شعرها الأسود .

عدلت من موضعها وطفقت تنصب طولها وتخلع عن رأسها ثوب الترنح، تماوج جسدها ببرودة ليل الشتاء فاستجاب معها زيّها غريب الهيئة كصفحة بحر تشكلها الرياح .

تحولت عيون الغراب للفتاة فبادلته النظر، انبثق مِن عينيّ الغراب خطان أسودان تزداد قتامة وثقل مع اقترابها من الفتاة، حتى وصلت تلك الخيوط السوداء إلى عينيّها، فغشت عيناها وتجذرت فيها كأنها شجرة تشق الأرض لتأخذ فيها منها الحياة، وانقشعت الخيوط مِن عينيها .

فجأة وثبت مِن أعلى الجبل لتتحول بغتة إلى كتلة سوداء، تشق السماء وترتفع لأعلى، كتلة هلامية كوّنتها الخيوط القاتمة لا هيكل يشكلها، وسار الغراب والفتاة في شوارع السُحب كُل مِنهم يتخذ الآخر رفيقًا .

(٢)

تقدم الصحفي (وائل الجارحي) سعيدًا بالمبلغ الذي استقر في جيبه، مختالًا فخورًا بالتحقيق الذي أجراه وذاع صيته في مواقع التواصل الاجتماعي وانعكس ذلك على مبيعات جريدة - الحرية - التي يعمل بها، فكافئه المدير وهو يذعن إليه أنه يريد المزيد من تلك المواضيع الساخنة، حتى لو كانت سلبية، فحتى السلب ينعكس بالإيجاب على مبيعات الجريدة .

ذهب (وائل) للساعي وهو يرفع هامته بعزٍ – أو هكذا يظن نفسه – وقال له وهو يخرج نقود المكافأة أجمعها:

- -الخمسون جنيه المُدان بها-

فأخرج ورقة الخمسين جنيه مِن بين النقود ليتفاخر بها أمامه وأعطاه إياها، همّ أن يرحل لكن أوقفه الساعي وهو يضع صينية عليها أكواب شاي على الطاولة:

- -أوه، نسيت أن أعطيك شيئًا-

أخرج الساعي ظرف مستطيل الشكل كبير الحجم مُبللًا بقطرات يد الساعي التي لا تنضب/ تباينت على (وائل) أمارات الترقُّب فظرف لصحفي في القرن الحادي والعشرين وسط معمعة التكنولوجيا يعني شيئًا ذا قيمة مُثيرة، تناول (وائل) الظرف وسأل الساعي مُستفسرًا:

- -مَن الذي أرسله ؟!-

- -يا الله القهوة فارت-

صرخ بها الساعي وهو يدير ظهره لـ (وائل) ويلحق ما يمكن لحاقه مِن

القهوة التي راح مشربها قبل صبها .
- -دلق القهوة خير-
همس بها (وائل) لنفسه وهو ينظر للظرف وقدماه تسيران خارج الجريدة نحو سيارته العتيقة التي لولا أنه ورثها عن والده لكان نصف راتبه قد دُهس تحت إطارات المواصلات العامة .
بعد ساعات في معافرة الطرق القاهرية المُكدسة وصل إلى منزله، صعد لشقته التي تقبع في الدور الثاني مِن العقار، أدخل المفتاح في مزلاج الباب وهم أن يدلف داخلها فاصطدمت قدمه بشيء على مشارف الباب، كانت الصُحف اليومية التي يزوده بها حارس العقار كُل صباح .
أمسك جُلّها، وقرأ العنوان الذي تراص في أغلب الصُحف بصياغات مختلفة؛
- انتهت أسطورة الجماعات الإرهابية للأبد -
- حديث دولي عن الوجود العسكري الخارجي للقوات الأمريكية . . متى سيرحلون ؟! -
أطاح بالجرائد بعد قراءة العنوان فانتبه أن الظرف وسط ما أطاح -ذلك الظرف- فهرع لينتشله، ووضعه على مكتبه في غرفته المتواضعة، و أعدّ لنفسه شيئًا ليأكله و مع مشروبه المُفضل والمحبب دائمًا - الشاي - .
فضّ الظرف فوجد مجموعة مِن الأوراق، هندم تناثرها ورتبها بتساوي وشرع في القراءة .

(٨-)

لا أُحب المقدمات الطويلة والمبالغة فيها، لذلك لن أكتب لك ما أكره، منذ ما اتفقنا أنا والرائد (مُراد شريف) عن الإفصاح بما مررنا به، اتفقنا أن حكايتنا ستسير على هذا المنوال السردي وهو الورق الذي تركه لنا العقيد عصام ثروت، سيكون أساس السرد والباقي سيكون منا لتكتمل المشاهد وتنضج الصورة بذهنك، لنبدأ .

*****

العقيد عصام ثروت

الآن نحن في السيارة بزيّ مدني ذاهبون إلى مركز تجاري لنمنع جريمة سرقة وإصابة فتاة لا نعرف من ستكون هذه المرة .
منذ أن دلف إلى مكتبي الرائد (مراد) وألقى بكلماته بشأن قضية يريدني أن أساعده فيها والحيرة بدأت تأخذ مِن تفكيري حيزًا، جريمتا سرقة والثالثة في الطريق إلينا .
الأولى كانت في متجر لبيع الأجهزة الكهربائية سُرق إيراد المحل وبعض الأجهزة خفيفة الحمل، أما الثانية فكانت في هايبر ماركت سُرق الإيراد أيضًا، ولكن هناك شيئان مشتركان يجعلان القضية برمتها لغزًا غامضًا، وهما: قطع الكهرباء وإصابة فتاة . في السرقتين تُقطع الكهرباء فيحل الظلام، وبعد دقائق يأتي النور ويرحل الظلام والسارق معًا

حاملًا الأموال التي سرقها، ويتركا فتاة تصرخ متأثرة بجرح عميق على وجهها مِن نصل باتر .

هناك فتاتان جُرحتا – في مكاني السرقة - ولا يعرفا مَن جرحهما ولكن هناك رابط غريب بينهما، الاثنان صديقتان منذ أيام الجامعة، وهما الآن في الرابعة والعشرين من عمريهما، ولكن الأغرب أن الشيئين – سرقة الإيراد وجرح الفتاة – يحدثان في دقائق قليلة جدًا والظلام حاضر يُطبق على المكان، وسط هممات الحشد المتسوق، فهذا يضيف إلى عقولنا احتمالين، أن يكون السارق ذكيًا يعرف مقدار خطواته جيدًا، أو أن أحدًا يساعده في ذلك، ولكن الأهم أن عنصر المفاجأة هو عنصر جيّد وفعال في هذه القضية، فلنتتبع السارق الذي نشتبه فيه – والذي يكون موجود قبل انقطاع الكهرباء ويختفي ومعه النقود عند رجوعها – ونضعه نصب أعيننا دائمًا حتى ينقطع الضوء فنضيء في لحظتها كشافات نطويها بملابسنا وهو يمسك بالأموال التي كان يأمل سرقتها .

إن الأمر يسيّر ولا أعرف ضرورة مُساعدة الرائد مراد فيه، ولكن مساعدة بهذه السهولة يمكن أن تكبر وتصبح خدمة كبيرة في المستقبل لذلك آثرت الصمت، ونحن الآن على النهج الذي خططنا له، فأمامي الآن المشتبه به في إحدى محال المجهورات والذهب في المركز التجاري وبالتحديد بالقرب من مكان النقود، انتظر انقطاع النور بفارغ الصبر .

لوهلة نظرت أتبين الموجودين غيرنا في المحل، بالتأكيد بمحل للذهب والمجوهرات ستجد أغلبهم من السيدات، وهناك فتى وفتاة يبدو أنهما على مشارف الزواج تحتار الفتاة أي قطعة تشتري ويحتار الفتى بأي طريقة يهرب مِن دفع المشتريات، وبجانبهما فتاة عشرينية جميلة ذات لمسة زينة

بسيطة تضفي عليها رونقًا متميزًا عن ملوني الوجه من حولها، شعرها كماء عذب متدفق من نبع ناضج الأنوثة، أتمنى لو رأيتها في مناسبة غير القبض على سارق يقطع الكهرباء و . . . .

انقطع إمداد الضوء لنا بغتة، ارتبكت للحظة فقدت فيها بوصلتي لمكان السارق، سريعًا أخرجت الكشّاف المطوي بملابسي وضغطت على زر الإضاءة . مالذي يحدث ؟! لِمَ النور لا يبدد هذا الظلام اللعين ؟!

أشعر بدفء منبعث من الكشاف وبحركة بعض الاكترونات التي في فلكه تسبح، هناك شيء خاطئ يجب أن أفعل شيء قبل تنفيذ الجريمة، تخطيت مكاني بحركات عشوائية حرصت على جعلها حذرة نوعًا ما .

أين (مراد) ؟! ألم يكُن بجانبي هو وبعض المخبرين الذين – أيضًا – معهم كشّافات منتظرين لحظة قطع الكهرباء لينيروها ؟!

بعد ثوانٍ - مِن الأفكار والخطوات المتخبطة – سمعت صرخة أنثوية تندلع من مكان ما في المحل أفقت من شرودي بمساعدة النور المتدفق في المكان فجأة كما امتنع فجأة، وضحت أمامي دماء جرح الفتاة – التي صرخت – جليًا ومعها خطيبها يحاول أن يحميها من احتضان قوي بين الارض و جسدها، لا يوجد ظلام لا يوجد سارق لا توجد أموال، هذه حقيقة أدركتها وأنا أنظر لمكان النقود المُفرغ، تشتت كثيرًا بين صرخات الفتاة ونظرات الغضب التي كنت أصوبها باتجاه مراد والذين معه، رأيته يعنفهم ويصيح فيهم و أمرهم بالبحث عنه حتى يجدوه .

هرعت لنقل الفتاة مع خطيبها لأقرب مستشفى، تحدثت مع الفتى قليلًا وقلت له – بعد أن عرفته بنفسي – أني سأذهب والرائد (مراد) معي غدًا للاطمئنان عليها وسؤالها بعض الأسئلة، وافق مِن فوره لتمرير الموقف،

ولحسن الحظ أن معي ملف القضية في السيارة فأخرجت منها صورتي الفتاتين المصابتين نفس الإصابة وغالبًا مِن نفس الشخص، وسألته إن كانت خطيبته تعرفهم أم لا، فقال لي:

- -إنهما صديقتاها من أيام الجامعة- .

كما توقعت، ولكن لم أكن أتمنى ذلك، كان تفسير أنه يجرح الفتيات عشوائيًا ليشتت الناس عن سرقته تفسيرًا سهلًا ومقبولًا، لكن الآن الأمر تعقد وتعددت فيه الرؤى واللغز زادت طلاسمه .

رجعت لمكتبي ومعي الرائد (مراد) الذي لم يرجع مخبريه إلا مُحملين بفشل القبض على السارق، أكد لي ما أخشى، أنهم أضاءوا كشفاتهم وشعروا بدفء ضوئها ولكنها لم تضئ !!

اتفقنا على أن نستعين بأحد متخصصي مجال الكهرباء وأن يعطينا تقريرًا دقيقًا عما حدث للكهرباء في هذه الفترة يُجلي بها حيرتنا المُتضخمة .

بزغت برأسي فكرة تكاد تعطي شكلًا منطقيًا لما يحدث رغم غرابتها، فأصررت على الشخص المتخصص أن يأتي إلينا لأسأله عما بداخل رأسي:

- -هل يمكن أن يكون هناك جهاز يعطل الكهرباء كلها في مكان معين ؟! -

فكر الرجل قليلًا حتى قال:

- -كل شيء ممكن مع التقدم الهائل الآن وقد يكون هذا الاحتمال مقنع لما سردتموه على- .

إذًا لو أخذنا هذا الاحتمال مأخذ جدي، سنكون حريصين على أن يكون السارق مجرّد مِن هذا الجهاز في عملية السرقة القادمة، التي عرفنا أنها ستكون في عُرس ما في فندق، لم نحتَر كثيرًا في معرفة ما هي قاعة العُرس، فبالتأكيد سيكون قاعة عُرس (مريم) وهي من صديقات الثلاث فتيات

المصابات صديقات الجامعة، والمقام غدًا في فندق فخم على شرف عائلة الزوج الثرية، ولكن ماذا سيسرق هذه المرة من قاعة عُرس ؟!
فسرق أول مرة إيراد محل وبعض الأجهزة خفيفة الحمل، والثانية إيراد هايبر ماركت، والثالثة – التي كانت نصب أعيننا – إيراد المحل كالعادة وبعض الذهب الذي تكوم في قبضته، حال لغز هذه القضية دون كشف الحقيقة، لكننا لن نسأم لمعرفتها فالقضية بلغت في تفكيرنا مبلغًا عظيمًا .
انتيهنا – أنا ومراد – على أن نستخدم أشياء غير كهربائية مضيئة، كالشمع، سنتركه يظن أنه سيطفئ النور بجهازه – الذي نعتقد أنه يملكه – ونضيء شموعًا كثيرة نحيطه بها وقت السرقة وقبل أن يجرح العروس في وجهها، أعتقد أنه هذه المرة لن يفلت .

(٧-)

أراه يمشي أمامنا بهدوء وثقة يرتدي بدلته المنمقة، أتصوره بعد قليل وهو في شباكنا الأمنية، لكن أليس غريبًا أن يحمل مثل هذا الشخص دعوة للعُرس التي قدمها الآن لرجال الأمن كي يعبر ؟!

يبدو أنه يعرفهن جيدًا لذلك ينتقم منهن لشيءٍ ما أؤمن حد اليقين أننا سنعلمه قريبًا، واثقٌ هذه المرة أنه لن يفُسح له المجال للهرب .

نزلنا من السيارة متجهين لقاعة العُرس، لحسن حظنا أني أعرف مدير أمن هذا الفندق وهذا قلل خطواتنا العشوائية كثيرًا .

موسيقى صاخبة تبعث أغنية لأسماء الله الحسنى، لا أعرف ما الرابط والوصل بينهما وكأننا ننافق الله بذكره في لحظات نتمنى أن تعدو سريعًا .

أنا و (مراد) وستة مِن رجالنا كل منا معه شمعتين وقداحة مطويين في ملابسنا، نمشي ورائه كمن يحاصره ولكن هو غير مُنتبه، يظن أنه أذكى منا، ولكن ستنطفئ شعلة ذكائه في قبضتنا .

انقطع النور، ابتسمت بثقة وبهدوء سحبت الشمعتين والقداحة، ضغطت على مأزر الشعلة، لا ليس مجددًا !! لا أرى أي ضوءٍ رغم أني أسمع صوت نفث الغاز وإمداده للنار التي أشعر بحراراتها جيدًا، لا أعرف ماذا حدث ولكني شعرت بحرارة متدفقة – غالبًا من إحدى الولاعات التي لا تضيء - إلى يدي لتستعمر بالألم والحرارة وتُنشئ الجلد المحترق، ما عاد النور حتى اندلعت صرخات عالية من أمام منصة العروسين، نفط الفشل أشعل النيران بداخلي، ركضت بسرعة خارج الفندق غير عابئ بأي شيء غير الإمساك

بذلك الوغد، تبعته إلى مكان سكون السيارات بالخارج حتى تعثر وسقط أرضًا، حاول النهوض سريعًا، ولكني عاجلته بضربة قوية بمسدسي – الميري – على رأسه فاحتضنته الأرض وهو مُفتقر للوعي .

أحسست براحة تجتاح فرائصي، أمرت الرجال بأن يضعوه في السيارة وهرعت إلى داخل القاعة مرة أخرى التي لم تتوقف الصراخات مِن الاندلاع فيها، حاولت أن أدخل وسط الحشد المتجمع حول المنصة، منهم مَن يضرب كف على كف، ومنهم مَن يخرج مُثخنًا بالدماء، ومنهم مَن يصرخ خوفًا مما رآه، بالتأكيد الأمر أكبر مِن جرح في وجه العروس، تسمرت مكاني ما إن واجهت مشهد العروسين، كانا مذبوحين !! وجهاهما مُتصلبان على ملامح الفزع كأن وجهيهما صوّر آخر ما كانا عليه في رمقهما الأخير بالحياة وحفظاه، وورائهما كُتب بدمائهما على الجدار الأبيض؛

-الانتقام في مملكتي دائم، لأن كل شيء في الظلام يصبح ملكي، والظلام لن ينتهي-

(٦ -)

- أنت متهم بجريمة قتل -
أمرت المخبرين أن يقولوا للمشتبه به هذه الجملة، ويطبقوا بروحه خوف مما سيلاقيه منا، أراه أمامي في غرفة التحقيق – التي يستطيع من خارجها أن يرى من بداخلها، ومن بداخلها لا ينفذ بصره لخارجها فترتد إليه صورته كمرآة – وحوله بعض مخبرينا .
أبله، هذا ما أراه جليًا في شخصيته متباينة القصور والغباء، وبحدسي الشرطي المُتأصل مِن كثرة الجرائم، لا أتوقع أنه بالذكاء الكافي الذي يدبر به سرقاته أو بالشجاعة التي يجرح ويقتل بها، لذلك الرهبة ستكون هي الضربة الأولى والأخيرة معه، ولتكن الضربة الآن .

*****

خرجت من غرفة التحقيق وصح لي ما توقعت، إنه أبله معطوب العقل .
اعترف بجرائم السرقة حتى دون أن نوجهها له بهدف الهروب من جملة - أنت متهم بجريمة قتل -، وخرجت بشخص جديد يُضاف إلى القضية، الغريب أنها فتاة والأغرب أنه لا يعرف اسمها أو عمرها أو أي شيء يدل على معرفتها جيدًا لا يعرف إلا عنوان سكنها، ظل يردد أنها - نحس - ما من مكان تذهب إليه إلا وتنقطع فيه الكهرباء .
ظل يتفوّه بكلام عشوائي ومتخبط لذلك جعلته يكتب اعترافه في أوراق أعطيته إياها، وأمرت رجالنا أن يبحثوا عن صاحبة العنوان - الذي قاله لنا

– ويرسلوا لي تقريرًا عنها .
رجعت إلى مكتبي لأستريح قليلًا بعد يومين متتاليين من التفكير والإرهاق وأنفض عن خُلدي إعصار الحيرة المُدمر، فلا أذكر متى دلف طعام إلى معدتي في هذين اليومين لذلك أمرت أن يجلبوا لي شطيرتين لأستطيع مواجهة التعب في الأيام المقبلة .
دلف لداخل الغرفة مخبر يحمل تقريرًا عن الفتاة واعتراف السارق – الذي عرفت لاحقًا أن اسمه فوزي جمعة – قرأت الأوراق وربطها ببعضها والقطع المتناثرة المبهمة في القضية بدأت تتكامل .

*****

اعتراف السارق فوزي جمعة

- أقسم بربي أني لم أقتل، أنا أكره رؤية الدماء فكيف أقتل، أعترف كما قلت للضابط بعمليات السرقة التي قمت بها، فكلها كانت صدفة، وأنا لا أسرق من فراغ، أنا أسرق لأسد رمقي و رمق أولادي، فالحكاية كلها أن هناك فتاة رأيتها في مكانين مختلفين قطعت فيه الكهرباء، تتبعتها يومًا بفضولي فعرفت مكان سكنها، لا أعرف كيف خطر في رأسي فكرة أني إن تبعتها في مكان ما ستنقطع فيه الكهرباء وأسرق ما أريد، وهذا حدث بالفعل في محل الأدوات الكهربائية، ولكني سمعت صرخة امرأة من المحل لا أعرف سببها فكان همي الأكبر الهروب من المكان، وتحقق ذلك أيضًا في المكان التالي الذي كانت فيه والثالث أيضًا، إنها نحس وتُجمع عليها كل صفات الشؤم، ولكني كنت أعتقد أنها تعرف ما أريد وتعرف أني أراقبها، كانت تنظر لي نظرات واثقة وكأنها تقول لي أعرف ما تفعله، ولكني لم أتقرب منها يومًا لأعرف تفاصيل وخبايا حياتها، ولكني أعرف

هيئتها، فكانت طويلة بعض الشيء، غير محجبة، جميلة لا أنكر ذلك، وكان هناك جرح في وجهها لم أتبينه جيدًا ولاحظته بصعوبة، أرجو مراعاة ظروفي والأسعار التي تحرقنا جوعًا وقهرًا وتدفعنا مرغمين للسرقة، وأقسم لكم ثانية أني لم أقتل في حياتي قط ولن أقتل أبدًا -

*****

أنهيت قراءة اعترافه، وبدأت أقرأ التقرير عن الفتاة وطفقت عيني تتفحص وتتسلق سطوره والصورة الكاملة تنضج بذهني، أمسكت بورقة وقلم وبدأت أكتب ملاحظاتي عليها .

اسم الفتاة: نور نعمان علي

– السن : ٢٤ سنة – نفس عمر الفتيات المصابة

، ارتطم حظها – النحس كما يقول فوزي –

بحادث يوم زفافها فقدت هي بصرها وفقد العريس روحه بين أنياب هذا الحادث، ولكنها سافرت للخارج وأجرت عملية استعادت بها بصرها، هناك ملاحظتان هم لغز القضية؛

الأولى . . أنها كانت خطيبة العريس الذي قُتل ذبحًا أمس .

الثانية . . أنها نفس دفعة الكلية لنفس الفتيات المصابات والفتاة المذبوحة .

أوه! كيف لم أنتبه لشيء مهم في اعتراف فوزي !!، إنه يقول أن لها جرح في وجهها، أمسكت صورتها – المرفقة بالتقرير – نعم يوجد جرح في وجهها غير مرئي كأنه مُختبئ أسفل عباءة الزمن العتيقة، لحظة، هذه الفتاة التي رأيتها في محل الذهب والمجوهرات في المركز التجاري، الخيوط تشابكت حتى اختلطت فلم أستطع تميّزها .

في ذروة تفكيري دلف لمكتبي الرائد (مراد) – بعد عودته من بيته للاطمئنان

على عائلته كما قال – قلت له كل ما أفكر فيه، انتهى بنا موج تفكيرنا إلى شاطئ استقررنا عليه لتقرير ماذا سنفعل .
أنا سأحقق مع -نور- تحقيقًا يأخذ قالب حديث ودي بحجة أنها كانت خطيبة القتيل السابقة، ونرسل بعض رجالنا لتفتيش شقتها، وليكن كل شيء بعد ذلك تلقائيًا، والرائد (مراد) سيذهب للمستشفى لأخذ أقوال الفتاة المصابة – في محل المجوهرات – فيما حدث لها ولزميلاتها .
بدءت الأفكار تنحدر مِن أدمغتنا لتصبح واقع، والآن نور تجلس عل كرسي في غرفة التحقيق، فدلفت بابتسامة فاترة بعض الشيء، ربع ساعة من شرح لهذه الجلسة على أنها وديّة و بعض الأسئلة العبثية التي ينبشها لساني مِن عقلي و التي لا تعني شيء سوى استهلاك الوقت لشيء أنا أنتظره، وبالفعل بعد هذه المدة سمعت دقات على باب الغرفة، فخرجت منها لأجد رجال البحث الجنائي يحملون سكينًا ملطخًا بالدماء وجدوه في منزل تلك الفتاة .
عُدت إليها حاملًا السكين – في كيس بلاستكي شفاف – و واجهتها بتهمة قتل عروسين يوم زفافهما، فقالت لي محطمة كل توقعاتي لردها:
- أتظن أني لا أستطيع أن أخفي سكينًا مِن على طاولة منزلي !!
فرددت عليها تلقائيًا والأسئلة تفتك برأسي:
- لماذا ؟!
فقالت بهدوء :
- لكل فعل رد فعل، وكل منهم نال جزاءه الذي يستحقه، وأسبابي ليست لها حيز في عدالتكم لذلك لن يجدي قولها نفعًا .
أحسست أنها بدأت تلين في كلامها وتحتاج لتدفق المزيد من اللين والرفق لتقول ما أريد معرفته، فقلت بنبرة هادئة حاولت أن أجعلها مشفقة لينة

نوعًا ما:

- يهمني سماعها .

فبدأت بالسرد .

(٥-)

الرائد مراد شريف

بعد جولة تفقدية لحال أسرتي، رجعت إلى القسم وبالتحديد لمكتب العقيد (عصام)، اتفقنا – بعدما عرض عليّ ما استنتجه من الأوراق التي أمامه – على أني سأذهب إلى الفتاة المصابة بالمستشفى وهو سيحقق بشكل ودي مع الفتاة التي تدعى -نور- .
الآن أنا داخل غرفتها مصطنع بعض ملامح الأسى والشفقة على حالتها، جلست معها وعرفها خطيبها عليّ، أحسست أنها تريد الحديث دون أن تُنصت إليها مسامع خطيبها، لذلك طلبت منه الانتظار خارج الغرفة، وطرحت سؤالي:
- - مَن تتهمين ؟! -
مطت شفتيها بحزن، فكرت أن أطرح سؤالًا بديلًا بعد صمتها المطبق على الغرفة، فعاجلتني بقولها:
- -أعرف من فعل بي وبأصدقائي هذا، وأعترف أننا جديرات بهذا الانتقام- .
فنظرت لها باهتمام واسترسلت في الكلام:
- (نور) هي مَن فعلت هذا بنا، (نور) هذه زميلتنا مذ أيام الكلية، كانت وحيدة ومنطوية، أخذت مِن هامش الحياة وطنًا و أبت تركه، كنا أنا وصديقاتي المصابات مجموعة واحدة، كنا نحب نفس الشخص، كانت الخلافات تضرب صداقتنا بقوة مِن أجل هذا الفتى، إلى أن اتفقنا ألا نتحدث

عنه ثانية، فجميعنا تظاهرنا باختفاء عشقه مِن قولبنا، وكما قربنا حبنا له، تجمعنا على كره (نور) التي فضلها علينا جميعًا، كنا نضايقها بكل السبل، وبالتحديد بالسخرية من الجرح الذي بوجهها، كنا طائشات بحق، وهي لم ترُد على إهانتنا يومًا، مّرت سنتين إلى أن جاء يوم زفافهما، فضلّنا ألا نفعل شيء لهما ونكف عن أذيتها عند هذا الحد ولكن (مريم) – التي قُتلت بالأمس – أصرّت أن تفسد العُرس بأن تعطل فرامل السيارة التي ستقودهما لقاعة زفافهما، رفضنا هذا رفضًا تامًا كنا أربعة في مواجهتها، ولكننا لم نتخذ أي شيء لمنعها فالتزمنا الصمت، ولكنها نفذت ما خططت له وانتهى بهما مطاف الحادث أنها فقدت بصرها، والعريس مات- .

قاطعتها:

- -تقصدين قُتل- .

أومأت برأسها وأتبعت:

- -حزنا جميعًا لما حدث كنا نكرها لكن ليس حد القتل، ولم تكتفِ مريم بذلك، بل أرسلت إليها صديقًا لها ليوهما بحبه لها، وأنه مستعد الزواج بها وهي عمياء، واستعادت الأمل مرة أخرى حتى فاجأها في يوم وقال لها أنه لا يحبها، و أنه يحب (مريم) وسيتزوجها خلال أشهر قليلة، و جاءت إليها (مريم) ونعتتها بما سببته لها من عمى و ضرر، شعرنا جميعًا بالإشفاق عليها، وبالذنب الذي ينهش في روحنا كل يوم، لم نمنع (مريم) ولا حتى أخبرنا (ملك) بما خيط لها مِن مؤامرة لها وعلمناه، لذلك ذهبت (ملك) – إحدي صديقتنا – إلى (نور) و أخبرتها بكل شيء- .

(٤-)

العقيد عصام ثروت

لم أكُن أعرف أن للحب والكره نفس التأثير لعمى القلوب، أشفقت على ما مرت به (نور)، للحظة عدت مِن حديثي مع نفسي إلى إكمالها للسرد:

- -إلى أن جاءت إليّ (ملك) إحدى أفراد هذه المجموعة اللعينة، قصّت لي كل ما فعلته (مريم) إيزائي، فقدت بصري، وفقدت قطعة غالية من روحي، قتل حبيبي يوم زفافنا، طلبت مني أن أُسامحها مقابل أن تُساعدني في رحلتي لاستعادة البصر ، وافقت فلم يُعد لي أحد آخر دونها، وللحق راعتني جيدًا في هذه الفترة، وساعدتني كثيرًا في إنهاء إجراءت السفر لخارج مصر لإتمام العملية، وعندما عدت عرفت ماذا سأفعل، كل منهن سأثأر منها بمقدار ما فعلت بي، فالثلاث فتيات جرحتهن بوجوههن ليشعرن بما كنت أشعر به عندما كن يسخرن مني، و(مريم) وعريسها الاثنان قاتلان، الأولى قتلت حبيبي، والثاني قتل ما تبقى عندي من رحمة وإنسانية، لذلك ذبحتهما .

توقفت – نور – عن السرد، تسلقت لعينيها لأرى بريقًا بهما بعد حديثها عن انتقامها، الآن عرفت الأسباب، تبقى الجزء الأخير المفقود، فسألتها مُستفسرًا:

- -كيف نفذتي انتقامك بهذه الطريقة ؟!-

ابتسمت وقالت:

- -من الأفضل ألا تعرف- .
بادلتها ابتسامة مُشبعة بالثقة والتحدي وقلت:
- -ماذا ستفعلين ؟! ستقتلينني ؟!-
فقالت بهدوء:
- -لا سأضمك إلينا لأني آراك جدير بذلك- .
تباينت على وجهي ملامح الاستغراب فأُلجم لساني عن الحديث وتزهد فيه، فقالت:
- -أتظن أني سأترك هذا السارق يتبعني ويقوم بسرقاته لأني أشفق عليه- .
أردفت بابتسامة وهي تطرق وتكثف نظراتها إليّ:
- -أنا مَن قبضت عليك، وليس النقيض- .
البريق في عينيها تزايد، وما يحدث في الغرفة الآن غير طبيعي ومخيف .

(٣-)

الرائد مراد شريف

خرجت مِن المستشفى، أحمل في طيات عقلي مزيجًا من الدهشة والاستنكار لما حدث لـ (نور)، ورد فعلها الوحشي، ترى أي منهم الذئب وأي منهم الضحية ؟!، لِمَ الناس يحولون الضحية إلى ذئب يستشري البغض والحقد في قلبه ؟!

قطع حبل أفكاري مجيء أمين الشرطة بتقرير المتخصص الكهربائي عن الكهرباء في المركز التجاري في فترة السرقة، لقد نسينا هذا، ما لبست أن أمسكت بالورقة حتى قال لي أحد المخبرين أن هناك شيئًا مهمًا يجب الاطلاع عليه .

انتظرت في سيارتي أمام المستشفى، حتى جاء المخبر ومعه شخص يتلفت حوله برهبة وخوف، هممت إليه واقفًا مُعتمدًا بساعدي على السيارة، وأذعنت السمع لما يقوله:

- -أنا كنت قلق مِن الأمر، لكن عندما علمت أن الموضوع به حكومة حدثت نفسي بضرورة الإبلاغ، وهذا واجب المواطن الشريف و . .-

أشرت له بيدي بحركة دائرية بمعنى الاختصار في كلامه فصمت يزدرد ريقه ويكمل:

- -المهم أنا اسمي سيد، أعمل قهوجي في مقهى أمام بيت (نور) التي فتشتوا بيتها منذ قليل، هي فتاة طيبة ولم نرَ منها أي شر، ووالداها – رحمهما الله

– كانا طيبين مثلها، وحيدة وليس لها اختلاط مع أحد في الحارة، في يوم يا سعادة الباشا اشتريت هاتف ذا كاميرتين، كنت فَرِح به للغاية، وكنت أسير ألتقط صورًا لخلق الله على الفاضي وعلى المليان- .

نظرت إليه نظرات حادة ليُنهي ما يريد قوله، فطغى على ملامحه الخوف فأتبع مسترسلًا:

- -آسف يا باشا، المهم بالليل قبيل الفجر بقليل، والرجل قلّت في القهوة، جلست على كرسي ووجهيي بمواجهة بيت نور وكانت نافذتها مفتوحة، وهاتفي مشغله فيديو بصور الحارة كالعادة، وصورت هذا المقطع يا باشا- .

أعطاني هاتفه وشرع بتشغيل مقطع مصور، لتتعاظم الدهشة على ملامحي و مسامعي تلتقط حديث (سيد) وهو يقول:

- -أنا عندما رأيت المشهد الذي أمامك يا باشا، ارتعدت وخوفت، قُلت هذا شيء ليس بطبيعي وأن (نور) بالتأكيد مخاويّة، ولما نزلت ثاني يوم مِن بيتها ألقتني بنظرة لفترة طويلة كأنها تحذرني أن أُري أحد ما صورته لها في بيتها- .

لم أسمع أي شيء بعد ذلك فالأفكار المتخبطة صنعت وحشًا يفتك بعقلي بشدة، إنه شيء لا يصدق بل عظيم الجنون .

لا أعرف لماذا جال برأسي (عامر فودة) هو أستاذ جامعي التقيته مرة في جريدة -الحرية- عندما ذهبتُ لصديق لي يعمل صحفي هناك، كان معه يُجري تحقيق صحفي عن ظواهر غريبة وحكاية تاريخية خيالية، اندهشت لكلامه للوهلة الأولى، فإنه خيالي في تفسيراته لدرجة لا توصف، ولا يفل الجنون إلا الخيال الذي يجاريه، لذلك اتصلت به وذكرته بنفسي فقلت له أني أريد مقابلته فورًا، فقال لي أنه مشغول ومن الأفضل أن آتي إليه في منزله

لمقابلته، فهرعت إلى السيارة ومعي هاتف سيد هذا، وسمعت ندائه على هاتفه، ولكني أدرت السيارة غير مبال وبوصلتي بيت (عامر فودة) .
وعندما وصلت إليه قابلني بنظرة غير مبالية، فدلفت داخل منزله دون أخذ الإذن منه وحدثته عن القضية كاملة وجعلته يشاهد المقطع المصور مِن هاتف سيد، فارتسمت الدهشة نفسها التي نالت من ملامحي منذ قليل، فسألني:
- -أين تلك الفتاة ؟!-
فقلت له:
- -إن العقيد (عصام) يحقق معها الآن- .
ففزع محياه وقال لي:
- -هيا بنا لهناك بسرعة- .
فقلت وأنا أحاول أن أجعله يتوقف:
- -أريد أن أعرف تفسيرًا لهذا قبل أي شيء- .
فصاح فيّ قائلًا:
- -سأشرح لك كل شيء ونحن في الطريق، لا وقت لدينا، يجب أن ننقذ صاحبك قبل أن يهلك- .

(٢-)

عامر فودة

كنت قد أنهيت بحثي الجديد عن ظواهر غريبة تحدث في مناطق نائية بإفريقيا، لو علمتها لقلت علي مجنون بدرجة أستاذ جامعي!
تلقيت مكالمة من رائد الشرطة (مراد شريف) قابلته - تقريبًا - منذ أسبوع في جريدة - الحرية - وأنا أُجري حوار هناك، ذكرني بنفسه وطلب أن أذهب إليه؛ لأن هناك أمر خطير يريدني فيه، لا أعرف لماذا طلبت منه أن يأتي إليّ، وادعيت الانشغال رغم فراغ وقتي، ولكنه استجاب وبعد مدة وجيزة وجدته يلهث يتصبب عرقًا، دخل بدون إذن مني وسرد - بكلامه العشوائي – قضية غريبة مرّت عليه، وحكى لي كل تفاصيلها وانتهى مطافه عندي ومعه هذا المقطع المصور وكان يحوي التالي:
-فتاة تجلس بمنزلها يبدو أن متطفل ما أراد تصوريها في هذا الوقت الذي يدل على قُرب الفجر لسكون الأصوات من حوله، فجأة حدث شيء غريب، عينا الفتاة تسحب أو قُل تبتلع الضوء مخلفة ظلام مبهم وراءه، لم تفهم الصورة بعد ؟! تخيل أن هناك مكنستي ضوء مثبتتين بعيني الفتاة، وتقوم بتشغليها فتسحب الضوء إليها وتخلف الظلام خلفه- .
ظللت أعتصر عقلي وأنا أُشاهد هذا اللغز المتحرك، فنتج عن ذلك أفكار مشوبة بظواهر كونية موجودة بالفعل، فعرفت أن هذه الفتاة توطن الخطر لمن تجالسه، فسألته عن مكان وجودها فقال لي أن زميله العقيد -

عصام ثروت - يحقق معها، فطلب مني تفسير لما يحدث، فقلت له:
-سأشرح لك كل شيء ونحن في الطريق، لا وقت لدينا، يجب أن ننقذ زميلك قبل أن يهلك- .

(١ -)

الرائد مراد شريف

في سيارتي الآن نطوي الطريق والزمن إلى المكان الذي يحقق فيه العقيد (عصام) مع تلك الفتاة .
تبقى لنا خمس عشرة دقيقة نطويها لنصل هناك، بجانبي (عامر فودة) بعدما أعطيته كل الورق المقترن بالقضية، قال كلامًا كثيفًا لم أفهمه، أنظر إليه بنظرات مبهمة، أتمنى لو تخترق هذه النظرات جدار رأسه وتقتلع أفكاره من جذورها، وتزرعها بأرض ذهني وتخصبها لأفهم ما يقول .
أحس بتخمة في عقلي تنمعني استيعاب مزيد مِن التفسيرات، فأعاد ما قال وهو يطالع الأوراق:
- -ثقب أسود، هذا هو وحش الفضاء الكاسر الذي يستطيع أن يقهر كل عمالقة الكون من كواكب ونجوم، يسحقها ويدثرها ويجعلها نسيًا منسيًا في تلك البقعة القاتمة السابحة في الفضاء، سُمي بالثقب الأسود ليس لأن الضوء ينفر منه، بل هو الذي يبتلع الضوء، بمعنى أن لديه قوة جاذبية كبيرة للغاية تصل حد أنه يزدرد الضوء ازدرادًا فلا يستطيع الفرار منه، وسرعة الضوء هي أكبر سرعة في الكون كله تصل تقريبًا إلى ثلاثمائة ألف كم في الثانية، ويتوقف عنده الزمن لأنك بوصولك لسرعة الضوء يتوقف الزمن تمامًا فما بالك إن تجاوز جاذبيته حاجز سرعة الضوء !!-
صمت لبرهة وأتبع:

- -يتوقع بعض العلماء إذا انسلت إحدى الأشياء لمركز الثقب بالضبط، ولم تفتك به أطرافه أنه قد يرى الماضي أو ينقله لعالم موازي آخر، أو يخلق منه نماذج متماثلة، وهذه الفتاة تملك نفس ميزة هذا الثقب، إنها تستطيع أن تسحب الضوء لعينها فلا يستطيع الفرار من مقلتي عينيها- .

بجهد عقلي كبير طفقت أستوعب ما قال، فطلبت منه الإيجاز في تطبيق نظريته تلك على جرائم الفتاة، ولأننا لا نملك الكثير مِن الوقت لنصل لقبلتنا، متبقي اثنتا عشرة دقيقة . .

فسألني:

- -هل الفتاة تختفي من المكان قبل أن تعود الكهرباء ؟!-

فأجبته وأنا أتذكر أني لمحتها بتجوال بصري في محل المجوهرات والذهب قبل انقطاع الكهرباء، واختفت تمامًا بعد مجيء الكهرباء مرة أخرى:

- -نعم، بالرغم أننا لم نكن نشتبه بأحد غير السارق ولكننا اهتممنا بالنظر للأشخاص المتواجدين حولنا- .

فقال:

- -هذه معلومة تأخذنا لاستنتاج سيء، حيث أن الجريمة لا تقع إلا في دقائق معدودة لا تكفي حيز الهروب مِن المكان بهذه السرعة، ومعنى ذلك أنها لديها قدرة على إبطاء عجلة الزمن بالنسبة لنا، كأنها تصنع عالم له أبعاد أخرى للزمن يجعله يتمدد في عالمنا ويصير طبيعي في عالمها الخاص فيكون يسير لها فتفعل كل ما تريد فيه- .

امتلأ رأسي عن آخره فلم يُعد بمقدوري إدراك ما يقوله الذي تراءى لعقلي مثل الطلاسم، فقلت له راجيًا:

- -عذرًا لكن وحياة أولادي لم أفهم ما قُلت، بسّط شرح الأمر- .

زفر لتأخر فهمي وقال:
- -مثال لهذا، يعني أننا وهي نسير في طريق واحد وفجأة تنحرف هي لطريق أخرى قصيرة لنفس الهدف ونحن نسلك طريق أخرى لكن أطول منها، فهي تصل قبلنا ونحن نصل بعدها بكثير تكون قد فرّت و قد حققت غايتها قبلنا . . وصلت ؟!-
أومأت برأسي بالإيجاب بعدما فض المثال الرسائل المُبهمة وفتح لعقلي سبيلًا أدرك منه تفسير الأمور ففطنتها جيدًا .
فقلت مستفسرًا عن شيء آخر:
- -ولكني لم ألحظ أنها تسحب الضوء كما في المقطع المصور- .
فأجاب:
- -لأن سرعة الضوء كبيرة جدًا فلا تلحظ سحبها أبدًا، كما لا تلحظ الفارق بين حركاتك في المرآة والواقع، فانعكاس صورتك على المرآة ضوء، والضوء سرعته كبيرة جدًا كما ذكرت
صمت لبرهة وقال وهو يرمق أماكن السرقة باهتمام:
- -اختيار أماكن السرقة لم يكُن عشوائيًا، بل كان لهدف تعلمه جيدًا، هو أن قدرة عينيها على ابتلاع الضوء داخلهما تكبر وتنمو بكثرة الضوء المُبتلع كتدريب عضلة مثلا يجب أن يكون تدريجيًا، فإنها انتقت أول مرة مكان لا يتجاوز الـ ١٥٠ م٢ وهو محل الأجهزة الكهربائية، والثاني كان مكان أكبر منه تقريبًا بثلاثة أضعاف الأول وهو هايبر ماركت، أما الثالث فهو مركز تجاري كبير متكون من عدة أدوار ، وكما هو مبُيّن في تقرير الشخص المختصص في الكهرباء، أن الكهرباء كانت تعمل على أكمل وجه لا يشوبه الانقطاع أبدًا، و أن محل الذهب والمجوهرات كان في الدور الأرضي بينما لم يشتك مَن

كانوا في الطوابق العليا الأخيرة بانقطاع الكهرباء، التي بها قاعات السينما التي لم تنقطع مشاهدها قط، والمكان الأخير الذي انتهي بجريمة القتل كان فندق أكبر من المركز عانت كل طوابقه من نضوب الضوء، لأن قوتها على سحب الضوء لعينيها تضخمت وأصبحت قويّة جدًا، وبهذه النسبة المتزايدة – إن استمرت – يمكنها أن تُغرق مدينة كاملة في بحر من الظلام الدامس، أو ربما العالم أجمع .

تبقى خمس دقائق . .

(•)

العقيد عصام ثروت

أحسست بشيء غير طبيعي يحدث، وكأن جملة من الظواهر الخارقة أطبقت على الغرفة، بدء ضوء الغرفة يتسرب إلى عينيها، المشهد مهيب، والخوف والفزع بطلا هذا المشهد، تسحب الضوء ووراءه يتراكم الظلام، وعلى شفتيها ترتسم ابتسامة منتصرة منتشية، تتوهج على ما تبقى من ضوء يُبدد بالغرفة، بعدما دلف الضوء لمقلتيها وأغلق وراءه أبواب مُحكمة وبرموش مدججة حتى لا ينسل بين ثنايا عينيها .

تُرك لنا الظلام ضيفًا ثقيلًا على نبضات قلبي وهواجس عقلي، قالت:

- -ستكون أنت مِن الذين سيوصلون رسالتنا إلى العالم- .

صمتُ لبرهة وسألت بتردد:

- -ما رسالتكم ؟!-

فقالت بصوت حاد غليظ:

- -الظلام- .

ثم ارتفعت بضحكاتها عاليًا حتى رددتها الجدران وكادت أن تنفذ منها، أصدر فمها صوت أشبه ببوق يُعلن عن حرب ساحقة، تندلع الصرخات مِن كل مكان، كأن جيش من الصرخات غادر قلاع حنجرتها، ما أن أفسح فمُها له المجال حتى احتل أركان الغرفة وهاجم أذنيّ من كل حدب وصوب، فرددت الفتاة بصوت جهوري كأنها تردد طقوس ما .

تبقى ثلاث دقائق . .

*****

الرائد مراد شريف

لحظات ونصل للمكان المحدد، رأيت فيها (عامر) منهمك في التفكير بعيدًا عن الأوراق، فسألته بتوجس:

- -ما الذي تفكر فيه ؟!-

فقال لي:

- -أخشى ألا تأتي بالظلام وحدها- .

لم أفهم فسألته ثانية مستفسرًا:

- -بمعنى ؟!-

فقال:

- -بمعنى أن يوجد الكثير من أعينها في عالمنا أو عالم ما آخر يُريد أن ينفذ لعالمنا- .

فقلت له وأنا أنزل مِن السيارة:

-أتمنى أن ننقذ العقيد (عصام) قبل أي شيء- .

فهمس (عامر):

- -أتمنى أن تكون وحدها- .

*****

تبقى دقيقة . .
رددت الفتاة بصوت جهوري كأنها تردد طقوس ما:
-يا أهل الظلام احضروا، يا أهل الظلام احضروا، الأرض منا ونحن منها، الأرض منا ونحن منها، الظلام ينتصر والضوء يُبدد، الظلام ينتصر والضوء يُبدد، كل إنسان يدخل في عالمنا يصبح منا، حتى نستقر به ونصبح ملوك الأرض، سبع وعشرون يزيدون واحدًا، سبع وعشرون يزيدون واحدًا، احضروا ولتستقر الروح بجسده الآن- .
رأيت عيونًا متوهجة بحمرة قاتمة تنتشر بظلام الغرفة يتكاثفون حتى زاد عددهم عن قدرة عقلي المُستطار فانصهرت مخاوفي مع أفكاري الملتهبة على جدران عقلي لتزيده غشاوة وتزيد قلبي نبضًا يسارع للموت، أحسست بارتطام شيء خفي بجسدي بقوة كادت تُوقعني ولكني تماسكت وأمسكت بالطاولة واستقر جسدي على الكرسي بعد ترنُح، لا أعرف كيف استطاعت عيني أن تريا وسط أمواج الظلام حولي، نظرت لساعتي عقاربها توقفت تمامًا كأنها شُلّت عن الحركة، أبت أن تتحرك ورضيت بالسكون ممكثًا، رأيت على الطاولة رزمة أوراق بجانبها قلم، أمسكت بالقلم وكتبت كل ما حدث بسرعة فائقة بما تمده لي ذاكرتي، نظرت أمامي لأرى العيون المتوهجة تقترب أكثر، لا أعرف آخر شيء حدث، ولكني أعرف آخر شعور أحسسته، الخوف .

*****

وصلتُ أنا والرائد (مراد) أمام الغرفة ونظرنا مِن خلال نافذتها المطلة على الغرفة، فوجدنا الكراسي متناثرة، سألنا الحراس بخارج الغرفة عن مكان وجود العقيد (عصام)، فقالوا أنه كان بداخل الغرفة يحقق مع فتاة تدعى (نور)، ولم يدخل أحد منهم الغرفة بعدما دخل لأنه أمرهم بذلك إلا عندما يناديهم وهم لم يسمعوا شيئًا، ولم يروه وهو خارج، فدلفنا لداخل الغرفة ووقفنا أمام الطاولة ورمقنا ريشة سوداء صغيرة بجانبها ورق يبدو أن العقيد (عصام) تركه لنا، فاتفقنا على أن تكون هذه الأوراق أساس السرد لحكايتنا، إلى أن نتلقى منه أي رسائل قادمة .

(٣)

انتهى (وائل) مِن قراءته، خرج مِن بحر الكلمات مُبللًا بالحيرة، شرع الليل يبسط ظلمته في طيات السماء، أشعل وائل الضوء جانبه ليبدد عتمة الليل .
فزع لمرأى فتاة تقف بجانبه يعتلي كتفها غراب، تُمسك كوب شايه وترمقه بحزن مُصطنع الملامح، هرب لسانه خوفًا فدُهست الكلمات تحت عجلات الفرار، ظل ينظر لها فاغرًا فاه، أحداقه لاهثة وراء تفكير ناضج فلا يجد إلا أفكار مُتفحمِة مِن نيران الفزع ومفاجأة الموقف، رشفت مِن الشاي بعضه فامتقع وجهها وقطعت خيم الصمت قائلة:
- -الشاي قد برد وساء مذاقه- .
أحكمت قبضتها على الكوب وباعدت الفراغ حتى التصق بكفها، وأتبعت بابتسامة تتلاعب بسفينة قلبه على أمواج صدره الثائرة:
- -يجب أن نُعيد حرارته مرة أخرى- .
بدأ الكوب يتغير لونه وتشكيله، خُلقت النتوءات وحُفرت الأخاديد فيه، يتقطع صفيره كأنه يستغيث صارخًا، تنسل قطرات الشاي مشوبة بمصهورات ماهية الكوب، سرعان ما تلاشى الكوب وما فيه بين حواف يديها، أطرقت برأسها تجاه وجهه الفَزِع وقربت وجهها صوبه .
فوقع مِن كرسيه للخلف، ارتجفت فرائسه وهي تقف أمامه بثبات فليس ثمَّ مِن مفر منها هكذا حدثه عقله المُضطرب .
أمسك بحركة خاطفة مُتخبطة شيء يدافع به عن نفسه، فضحكت وهي تنظر لما يمسك، فنظر ليده فوجد يقبع بها مصباح ليلي .

بدأ يهتز الضوء ويتخبط في ممرات مُظلمة، وقالت بين تراقص الضوء:
- -لا ضوء في مملكتي- .
أسدلت مِن عينيها جنود قاتمة غشت ضوء ما يُمسك كمُتسلل هارب لحدود مملكتها، طفقت تُقرَع طبول حرب بين دولتي الضوء والظلام، فقرر (وائل) أن يكون له في هذه الحرب موقفًا، فركض سريعًا تجاه أي زر للضوء يطوله ويشعله، أشعل كُل ضوء في الغرفة، فاستدار لاهثًا للفتاة، وهي ترمقه بثبات وابتسامة وهي تضع يديها على صدرها ببراءة طفلة تستمتع بعرض المُهرج، قالت بهدوء وقد استحالت نظرتها إلى ما يُنذر بأن القادم أسوأ:
- -إذًا فلنبدأ المعركة- .
استفاض الظلام مِن عينيها حتى ارتقى من المكان مبلغًا، معركة شرسة بين الظلام والضوء، يطوف الغراب بسماء الغرفة يصيح وينعق بصوته مُشجعًا الظلام الذي يستبيح كُل موطن للضوء، لا يترك له موطئ قدم ولا نبض يحيّه، يغتصب نوره يمزق وجوده شر ممزق، يداهمه في الأركان والأرجاء، الضوء يُقتل بلا هوادة ووغى المعمعة يزيد .
تنسج عناكب الخوف على قلب (وائل) شرنقة تتصيد الفزع والأهوال وتصيب بسهام الهلع ما تبقى مِن قلعة صموده، آخر مَن قُتل في المعركة كان يُريه وجهها وهي تقف أمامه مُبتسمة .
تراجع خطوات مُضطربة للخلف فعمد بظهره للجدار يجعل منه حاميًا، يتوطن الظلام عيناه، فينظر في غياهب الظلام مُتشابهة ومُفزعة هواجس الظلام تفيض بالفزع، نعق الغراب وهو ما يزال يحلق أعلاه، سمع صوت الفتاة تقول:
- -ليس لي أمر معك- .

ران الصمت لوهلة فسمع صوتها دون المكان الذي سُمعت مِنه أول مرة:
- -إلا أنك علمت، ومَن يعلم لا مفر له- .
عاد الضوء وانقشع الظلام بغتة، نظر أمامه وهو يراها على مبعدة منه، لحظة طوت المسافة بينهما بسرعة خارقة ووقفت أمامه مباشرة:
- -لذلك ستأتي معي- .

(٤)

تسلق (وائل) قاع وعيه بصعوبة ليجد نفسه جاثم على كرسي مُحاط بحبال مُحكمِة ومُقيدِة لحركته، وزع نظراته ليستكشف المكان الذي به، مكان واسع المساحة، مُرتفع السقف، مُلحق به غرفة بابها موصد مِن ناحية بهو المكان، خالٍ مِن الأشخاص إلا مِن (نور) التي تقف تنظر لهلوسته بابتسامة صافية .

أرغم قسمات وجهه على التظاهر بعدم المبالاة رغم اعتمار الخوف بقلبه، فظلت ملامحه خاضعة لإرغامه وسلّم قلبه لمهاوي الفزع، سارت نور على مبعدة منه، فجأة خطفت مسافة أمام وجهه وثانية رجعت لمكان سيرها، طفق الخوف يعرج لملامحه، فضحكت وقالت في سيرها:

- -أستمتع بإثارة خوفك- .

- -جبانة- .

انتبهت لكلمته التي أطلقها بوجهها فأصابتها بحمرة الغضب، فقالت بعدما مسحت آثار البسمة وحلت مكانها وجوم:

- -ماذا ؟!-

أحس أنه فاز بنقطة بكلمته فأكمل بهدوء مُصقَل بالثقة:

- -قوتك أمام ضعف جسدي المُكبَل يجعلكِ جبانة- .

و أتبع:

- -كُنت أتعاطف معكِ بعد ما حدث، لكني لا أتعاطف مع وحوش- .

سريعًا طوت المسافة بينهما حتى أمسكت فكه بكفها، ضغطت عليه بقوة

وكرسيه يرجع للخلف مِن قوة قبضتها كأنه سيهوي، قالت وقد ثبتت عينيها عليه وهي تصُب حمم الغضب:

- -ماذا تعرف عن الظلم والقهر وحرقة الفقد كي تتحدث عن الوحوش- .

تركته، كاد أن يسقط لكنه دفع جسده للأمام فأعاد توازن الكرسي، انطفأ وهج الغضب بعينيها وابتعدت قليلًا بحركات مُضطربة وقالت:

- -أنا عادلة لم أنتقم إلا بقدر العمل- .

أحس برفق الحديث وإمكانية النقاش فقال:

- -لكن نحن لسنا في غابة، يحكمنا قانون ونلتزم بلوائح و . . .-

قاطعته صائحة:

- -فليسقط قانونكم العقيم، قانونكم ملعون لا يجلب حق ولا يردع ظلم، قانون الغاب هو الدستور، فمن امتلك القوة امتلك البشر، كُنت مظلومة ولم أُنصف لأن والد زوج مريم – الحقيرة – كان له نفوذ في البلاد- .

هربت مِن عينها عبرة فمحتها بسرعة وأتبعت:

- -اللعنة على البشر يحولون المذبوح إلى قاتل والماشية إلى ذئب، مجرد فتاة عمياء يتلاعب بها مَن شاء، البشر إن علموا أنك لا تستطيع ردهم نالوا منك، وإن علموا بمقدرتك هابوك بقدر قوتك- .

- -فلتغضي طرف قوتكِ عن الناس، حتى لا تصيري خطرًا عليهم- .

ران الصمت وجال في الأرجاء حتى طردته قائلة:

- -نحن لسنا في مناظرة عن مأسي ما يحدث، ما جبلتك لأفرغ ما لا أطيق مِن حديث، نحن الآن بصدد التمهيد للعهد الجديد- .

وأردفت:

- -عهد العدل والحرية والسلام- .

تقدمت نحو (وائل) بوجه مُبتهج مُنتشٍ وابتسامة تُزين صفحته، ملأ الظلام المكان واستقرت في العيون حتى حرمت عليه الضوء، طفقت تردد طقوس الاستحواذ:

- يا أهل الظلام احضروا، يا أهل الظلام احضروا، الأرض منا ونحن منها، الأرض منا ونحن منها، الظلام ينتصر والضوء يُبدد، الظلام ينتصر والضوء يُبدد، كل إنسان يدخل في عالمنا يصبح منا، حتى نستقر به ونصبح ملوك الأرض، ثمان وعشرون يزيدون واحدًا، ثمان وعشرون يزيدون واحدًا، احضروا ولتستقر الروح بجسده الآن -

بدأ يرى عيونًا متوهجة بالحمرة، تذكر أن هذا المشهد ما كتبه العقيد عصام قبل خطفه، فاستبد بجسده الفزع والوجل والعيون تقترب منه أكثر وأكثر .

أحس بدوار عنيف يجتاح رأسه وحواسه كأنما تتأخر عنه بإرسال ما يحدث في أرض الواقع، أحس بشيء خفي يدلف لجسده لكنه ثقيل كثعبان يبتلع فريسته رويدًا رويدًا .

فجأة سمع صوت ارتطام وتحطُم قوي، فتركه الثعبان وفرّ، وانقشع الظلام، نظر حوله فلم يجد أحدًا حتى (نور)، أحس أنه مرّ عبر عوالم كثيرة حتى عاد لعالمه .

الواقع في عينيه مشوشًا، مسمعه بأذنيه بعيدًا، إحساسه يتدارك مُتأخرًا، يتكلم فلا ينطق فمه، يحاول سبر أغوار عقله عما يحدث فلا يستطيع .

يقترب منه وجهان، ينتبه إليهما بلا إدراك، يستشعر معرفتهما دون تأكيد .

فجأة عاد إلى عالمه كاملًا، أدرك الوجهين، كان الأول هو عامر فودة والثاني الرائد مُراد، تمعن النظر فرأهما يفكان وثاقه، يهزان رأسه ويسألونه عن حالته الآن .

نظر يمينه فوجد سيارة الرائد (مُراد) مُخترقِة الباب وجُزء مِن الجدار بجانبه، نظر يساره فوجد نور عند باب الغرفة المُلحقة بالمكان تنظر لهم بثبات، تقطعت أنفاسه و هو يلهث خائفًا، فنظرا – عامر ومُراد - إلى ما ينظر وهما يُنهضانه من مجلسه .

فتربصا لها ونظروا لها بتوجس، بدأوا يسيرون بحذرٍ نحو السيارة وهي تجول في المكان ببطئ غير آبهة وقالت:

-أتعرفون، هذه أول عملية استحواذ يُفشلها أحد لي، لكم الريادة في ذلك- .

ثم تبينت أحدهم وقالت:

- -(عامر) مكانك لم يكُن هُنا، بل معنا- .

سمعوها لكن لم يستسيغوا الكلمات، ظلت فقط تتردد في عقولهم كأذيال السحالي بعد قطعها، فأتبعت وهم مستمرون في المسير نحو السيارة:

- -أوه، نسيت أن أعرفكم على ضيفي- .

أوقفتهم هذه الجملة و (مرُاد) يتحسس مسدسه بجانب خصره، فتحت باب الغرفة كان الظلام يطبق بداخلها فظهر وسط الظلام عينان حمروان، تقدم صاحب العينين وتكشفت صفحة وجهه، نالت الدهشة من ثلاثتهم لمرأى العقيد (عصام) أمامهم، امتلأ وجه (نور) بابتسامة مِن ملامح وجوههم، صاح (مُراد) في (عصام):

- -أفق يا (عصام) أنت أقوى مِن مَن يستحوذ عليك- .

لم يتبين أي ملامح تأثر أو استجابة لكلامه فهمس له (عامر):

- -إنه ليس معنا الآن، إنه غائب في مكان سحيق لا يصل إلينا- .

ران الصمت فقالت (نور) كأنما تستعرض شيئًا:

- -يتميز بعض المستحوذ عليهم بقدرات تزيد عن القدرات العامة لنا،

فمثلًا أنا لدي القدرة على صهر الأشياء التي أمسكها- .
وصمتت لوهلة تلتمس خوفهم وأردفت:
- -وتميز العقيد (عصام) بأن استحوذ عليه شخص يده قوية بعض الشيء- .
أدارت وجهها لـ (عصام) وقالت:
- -ألا تُريد مصافحتم سيادة العقيد ؟!-
هوى (عصام) بقبضته على الأرض فتحطم مهوى القبضة، استعراض لقوته كجندي في مهد الحرب يبارز خوفهم .
فرّ ثلاثتهم نحو السيارة، ركبوها بسرعة وانطلقوا، كان المكان قريب مِن الطريق الصحراوي والليل قد شاع في الطريق والإنارة فيه منعدمة لا لوحوش الظلام بل لوحوش الإهمال .
دارت بسرعة إطارات السيارات بسبب قدم (مُراد) الضاغطة على ضاغط الوقود، نظروا في المرآة الخلفية فوجدوا (نور) تمشي ببطئ على حيد الطريق.
عاد نظرهم للأمام فوجدوها تقف على مبعدة كمصارع ينتظر ثوره، بحمرة عينيها المتوهجتين، ما إن اقتربوا من دهسها حتى تلاشت فجأة، فظهرت لهم بجانب السيارة وهي تجاري سرعة السيارة الكبيرة والمُتزايدة، وضعت يدها على نافذة السيارة فبدأ زجاجها ينصهر .
ابتعد (مُراد) إلى الخانة الأخرى مِن الطريق عكس الاتجاه، يتلافى السيارات المارة بجانبه، لكنه لم يبتعد عن (نور) التي تركض على جانب الطريق الذي هم فيه، انتبهوا لها وهي تقترب منهم، سرعان ما رأوا سيارة نقل كبيرة في مواجهتهم و (نور) مِن خلفهم، تدارك(مُراد) الأمر فأدار دفة قيادة السيارة كقبطان سفينة يتلافى جبل جليدي كاد أن يغرقه بأسفلت الطريق، فابتعدت السيارة عن الأخرى، وكانت (نور) في مواجهتها .

تفاجأ سائق السيارة النقل من وجود (نور) أمامه، فانحرف بيديه المضطربتين عن الاصطدام بـ (نور) فأشاع صوت احتكاك قوي فتنبهت (نور) فركضت بسرعة دون اتجاه وانقلبت السيارة النقل على الطريق مُطلقة ما فيها مِن بضائع عليه مُوقفة حركة السيارات الأخرى .

سمعت صوت انطلاق إطارات وسط أبواق السيارات فتجاوزت السيارة المُنقلبة وتبينت سيارتهم يفرون بها، همست لنفسها وقد تكالب عليها الغضب:

- -لا بد أن يكون لهم حد، وليكن حدهم الموت- .

عدت حتى واكبتهم المسير، بثقت مِن عينيها فوارسها مِن جنود الظلام، فأحاطتهم وهم في العدو على الطريق متساوون، كاد أن يتوقف (مُراد) بالسيارة لكن قبل أن يُحرك قدمه صاح فيه (عامر) بين غياهب الظلمة:

- -لا تتوقف- .

رد عليه (مُراد):

- -لا نرى أي شيء قد نصطدم بقوة في أي شيء- .

- -وليكن، أكمل- .

ظلوا متجاورين والسرعة في ازدياد والظلام محيط وعيناها كآلة تعرض ظلامها على شاشة السيارة تحت ضوء القمر والإنارة الخافتة وأبواق السيارات مِن حولهم تزيد .

الفرق في ثوب الظلام الذي يرتدونه، أن (نور) ترى ما يُحرمه قانون الظلام عليهم، فطفقوا يسمعوا طرقات على نوافذ السيارة مِن كل حيد وصوب، تتسارع هذه الطرقات بشكل جنوني يوشك يفتكُ بهم ويمزقهم شر ممزق، كلطمات الأمواج في الصخر، تكاثفت الطرقات على النافذة اليُمنى

فلم يطيقوا مسمعها فابتعد (مُراد) عن الجانب الأيمن للطريق، واختلست (نور) بين الظلام بسمة .

تلاشى الظلام بغتة، فوجدوا أنفسهم يركبون الطريق بسرعة عاتية وأمامهم سيارة يقرب الاصطدام بها، انحرف (مراد) عن مساره بيدٍ مُضطربة وعقل مُستطار، فغُرزت السيارة في رمال بجانب الطريق، حاولت الإطارات أن تنتشل السيارة مِن مغرزها بالدوران، لكن الأمر زاد سوءاً وتعمقًا في الانغراز.

فجأة، لمحوا طيف سريع يخطف المشاهد ركضًا بجانب أبواب السيارة، حاولوا النزول مِن السيارة لكن صعب فتح الأبواب، فنظروا على مقابض الأبواب فوجدوها مصهورة تحت يدي (نور) .

نظروا أمامهم فتراءت لهم عند غرّة السيارة، تلاعبت على وجهها ابتسامة ووضعت يدها على مقدمة السيارة، رفعت (نور) غطاء السيارة الأمامي كاشفة عما بداخله مِن مُحرك وغيره، أخذت تضع يدها بانسيابية عليه حتى بدأ يتصاعد منه دخان .

بغتة، تطايرت (نور) بعيدًا عنهم، كُل ما لمحوه أمامهم هي قبضة ضربت جسدها، فأردتها بعيدًا تئنّ بعيدًا عن دهاليز الوعي وطرقاته، ارتفع أمامهم العقيد (عصام) بعينيه الحمراوتين، شهقوا بقوة وهو يُعد لهم يديه كحداد يُعد مطرقته للسحق .

ضرب الزجاج الأمامي فتهشم وتناثر وشظاياه قد توطنت جلودهم، اقترب بعينيه الحمرواتين ينظر لهم بقساوة يعتمر بها العنف، فجأة خفت هذه الحمرة حتى اختفت، وتغيّرت ملامحه إلى الوجوم وقال لهم بلسان لاهث كأنه جاء ركضًا مِن أعماقه:

- -اهربوا- .

عاد الوهج الأحمر ومعه ملامح العنف، ضرب بيده السيارة فتقدمت على مهد الطريق فوجدت الإطارات لها فرصة للهروب ففعلت وركضت، وكان آخر مشاهد المرآة الجانبية، العقيد (عصام) يقف بعينيه الحمراء وبجانبه (نور) تستفيق بصعوبة ومصارع الألم يُثقلوا نهوضها .

(٥)

أطلقوا زفير عميق بعدما انتشلوا أجسادهم بصعوبة مِن السيارة المصهورة مقابضها، صعدوا لمنزل (عامر)، يجمعون شتات أنفسهم وفتات عقولهم، تقربوا لرمقهم بالماء وبطونهم بما وجدوه من طعام يحملهم على قساوة السابق ويعينهم على ضراوة القادم .

جمعهما (عامر) بمكتبه وقال لهما:

- -يجب أن نعرف ما يُمكن فعله لإيقاف (نور)، وكي نوقفها يجب أن نعرف هدفها أولًا- .

استوطن الصمت بين ثنايا أحداقهم المُفكرة، فقال (وائل):

- -إنها تُريد أن تستحوذ على البشر، هذا ما نعرفه الآن- .

تنبه (مُراد) لكلامه فزاده تنبهه بسؤال:

- -هل حاولت الاستحواذ عليك يا (وائل) ؟!-

انتبه (عامر) للسؤال أيضًا وهو يسأل نفسه كيف غاب هذا الطرح عن عقله، فأجابه (وائل) بتلعثم وهو يتذكر:

- -نـ . . نعم-

- -كيف كانت الطقوس ؟!-

سأله (عامر) فأجاب:

- -مثل التي كتبها العقيد (عصام) قبل الاستحواذ عليه- .

وأتبع كأنما تذكر شيئًا غاب عنه:

- -لكن بتغير بسيط، فكتب العقيد أنها قالت سبع وعشرون يزيدون

واحدًا، بينما قالت لي ثمان وعشرون يزيدون واحدًا، هذا يعني أن العقيد هو السابع و العشرون وأنا .....-

قاطعه (مُراد):

- -الثامن والعشرون- .

أومأ (وائل)، فطرح (عامر) سؤالًا:

- -ماذا تحتاج من المستحوذ عليهم لتصل لهدفها وما العدد المرجو ؟!-

فقال (مُراد):

- -يمكن أن تكون تجمع أكبر عدد ممكن إلى معاد مُعين- .

فرد (عامر):

- -أو تجمع عدد معين لانطلاق المعاد- .

فسألهم (وائل):

- -كيف سنحسم الأمر ؟!-

شاع من جيب (مُراد) رنين رسالة وصلت لتوها لهاتفه، ففضها وقرأها، تشبثت العيون به وقال وهو ينفض عن وجهه أثر نظراتهما:

- -سنحسمها بمحادثة ملك- .

فقال (وائل):

- -(ملك) صديقة (نور) ؟!-

خبط (عامر) بكفه المكتب مُعلنا ابتهاجه لهذا الخبر وقال:

- -نعم، بالتأكيد ستعلمنا كُل شيء ما دام هي مَن ساعدتها لتكون ما هي عليه الآن- .

ثم وجه كلماته لـ (مراد):

- -اشكر لنا الضابط الذي أعلمنا ببياناتها- .

- -إذًا فلنذهب الآن- .
قالها (وائل) فأوقفته كلمات (عامر) وهو ينظر في ساعته:
- -نحن الآن قبيل الفجر، سننتظر الصباح، سينام اثنان ويبقى أحدنا يقظًا، نتبادل النوم والمراقبة حتى نكون مستعدين لما سيحدث- .
طرقات تشيع مِن النافذة، فوجهوا نظراتهم إليها فوجدوا غرابًا يقبض بمنقاره على ظرف صغير مُغلق، أسرعوا ورفعوا النافذة فأخذ (عامر) الظرف فنعق الغراب بإتمام مهمته ورحل وفي أذهانهم أسئلة عن ماهية هذه الرسالة، فضوا الرسالة فوجدوا ورقة كُتب بها سطر واحد من الكلمات يستوطن قلب الورقة،
- اقتلوا المسوخ، وحرروا مسوخ المسوخ، واسجنوا الوحش -

(٦)

يرنو صوت صفع قوي على وجه العقيد (عصام)، فتشعله أصابع (نور) غضبًا، تلقى اللطمة بوجه يغلي كالمرجل، فكبلت (نور) وجهه الحانق بنظراتها القوية ظلا هكذا يبارزان بعضهما بسيوف العيون، بينما يقف غرابيهما على جانب منهما مُشاهدين شجارهما الصامت، فتحت (نور) سد الكلمات فنضبت مياه الصمت التي أغرقت المكان:

- -كدت أتخلص منهم- .

وأتبعت بنبرة أقوى:

- -ماذا فعلت يا أحمق ؟!-

امتص غضبه وقال بنبرة ساد فيها الهدوء نوعًا ما:

- -قُلت لكِ مرارًا وتكرارًا أنه لم يكن أنا، (عصام) هذا كان يقاوم بجسده، تحرر من سجنه في الأرض القديمة، وقد أحكمت سجنه بعد ثوانٍ قليلة- .

رجعت خطوة للوراء تجاه طاولة تريح عليها راحتيها وقالت:

- -إنها فرصتك الأخيرة، إن عاودت الكرة . . .-

أمسكت سكينًا وأتبعت:

- -سأقتل غُرابك- .

فزع الغراب لكلمتها فنعق وحلّق نحو كتف (عصام) واستقر عليه مُتحاميًا به، فوجد غراب (نور) نفسه وحيدًا فاعتمر كتفها هي الأخرى، جلست (نور) وقالت بعدما خفت غضبها قليلًا:

- -وجود أشخاص يعرفون عنا مثل ما يعرفون أمر خطير- .

اقترب من الطاولة وقال:

- -لا تقلقي، هم مجموعة مِن السذج، ولا يعلمون ما ننوي حقًا- .

وأردف:

- -كما أن مُهمتنا أوشكت على الانتهاء- .

فجأة نضب الحديث وجال الصمت في ربوعه الجافة، بدا صمت مُتعمد ومقصود، كُل منهما يصغي باهتمام شديد لهمهمات خافتة يترجمها ويصوغها عقلاهما لكلمات مستساغة، تلاشت الهمهمات واختلس كُل منهما ابتسامة يغذي بها وجه القحط، نظر (عصام) إلى (نور) وقال:

- -الأخير- .

(٧)

استيقظ (عامر) مِن غفوته فَزِعًا . .
بدأ يتذكر آخر ما كان عليه حلمه قبل أن يتلاشى بين جنبات الوعي
غراب . . سجن . . حراس . . طعنات . . قصر
لا يعرف ترتيبهم في حلمه بل وثبوا في عقله بغتة دون تمهيد، يحلم ذات الحلم مُنذ ما كان في غيبوبة حادثه
أخذ يسأل نفسه متى غفا ؟! متى استيقظ ؟!
نظر حوله فوجد سلطان النوم يجثم عليهما بمعسول الأحلام، تمعن في ساعة مكتبه فوجد العقارب تنصب نفسها على موعد الصباح .
جال نظره في الرسالة من جديد، لم يستطعوا فكها ربما لهزل عقولهم المُرهق أو لزيادة طلاسم الورقة مُختزلة الكلمات .
غسل وجهه وطفق ينفض ما عليه مِن فتات النوم، وجلس على كرسي مكتبه وبجانبه قهوته وراح يفكر في الكلمات المكتوبة
- اقتلوا المسوخ، وحرروا مسوخ المسوخ، واسجنوا الوحش -
كلما فرّت منه مقاصدها قودها بتفكير مُضاعف وتركيز مكثف، يسبر غور إسقاطاتها في ذهنه بقدر فهمه .
أثمرت بذرة تفكيره سؤالًا، لماذا بُعثت الرسالة مع غراب ؟! ومَن صاحبه ؟!
- (عصام)
هتف بها (عامر)، فانتبه له (مُراد) وهو يتثائب ويتقدم نحوه، سأله:

- -هل وصلت لشيء ؟!-
قال (عامر) ومازالت نظراته مُثبتة على الورقة:
- -نعم . . أُرجح أن صاحب الرسالة (عصام)- .
استقبل (مُراد) ترجيحه بسؤال:
- -كيف لمستحوذ عليه أن يبعث رسالة ؟! قد يكون تحرر للحظات أنقذنا فيها لكن هو مايزال مُقيد والغراب لن يستمع له- .
- -قد يكون سلك سبيل لم يخطر لنا أو لهم- .
انسل الصمت بين كلمات حديثهما، وبعد قليل انضم (مُراد) إلى (عامر) بمرافقة قهوته، فقال (عامر) له وقد نُوّر بعقله تفسير:
- -المسوخ هم الذين يستحوذون على البشر ويعطوهم قوة الثقب . . و مسوخ المسوخ هم مَن يستحوذ عليهم . . أما الوحش . . . . .-
صمت لوهلة يستجمع فيها شتات عقله وقال:
- -يبدو مِن اللفظ أنه أقواهم وأشرسهم، لكن مَن هو ؟! كيف نجده ؟! كيف نسجنه ؟! هذه أسئلة حلقاتها مفقودة- .
سأله (مُراد):
- -ألا يُمكن أن يكون فخًا نُصب لنا ؟!-
وأتبع:
- -لتأخيرنا بجرنا لأشياء أخرى- .
استساغ (عامر) السؤال في عقله وقال:
- -ربما، لِمَ لا . . لكن فالنأخذ بالمعطيات التي أمامنا ولنرَ ما ستكشفه لنا- .
- -هُناك سؤال لم تطرحاه- .
قالها (وائل)، فأتبع وهو في مرقده وآثار النوم بادية عليه:

- -هناك فرق بين استحواذ (نور) واستحواذ (عصام)، الأولى ترى نور فيها جليًا بينما الأخر ترى شخصًا غريب لا يمت له بصلة- .

- -طرح جيّد- .

أردف (عامر):

- -بالتأكيد هُناك قاعدة تُجلي غموض الأمر- .

قال (مُراد) قاطعًا حبل أفكارهم:

- -هيا بنا نذهب إلى (ملك)، كُل لحظة نتأخر فيها ليست في صالحنا- .

(٨)

صوت طرق على الباب يتبعه خطوات يتلوا صاحبها عبارات التمهل في الإجابة، ينفتح الباب فيكشف عن سيدة تبلغ مِن العمر أرذله، تنظر لثلاثتهم بعينين ضيقتين، وسألتهم:

- -مَن أنتم ؟!-

فأجابها (مُراد) بابتسامة:

- -نحن صحفيون جئنا نجري حوار مع ابنتك (ملك) عن مساعدتها لصديقتها (نور) كي تستعيد بصرها- .

أحس (وائل) بثقل كلمات (مُراد) فتدخل بكلمات الصحفي وهو يظهر بطاقة نقابة الصحفيين:

- -أنا الصحفي (وائل الجارحي)- .

ثم أتبع بنبرة حماسية:

- -ابنتك بطلة يا سيدتي نُريد أن نشكرها ونجعل منها مثال يحتذي به الشباب في الصداقة والأخوة، لذلك سنجري معها حوار صحفي تمهيدًا لظهورها على التلفاز- .

- -تلفاز- .

ابتهجت أوراق السيدة وهي تقولها فسمحت لهم بالدخول، فأجلستهم في بهو الصالة ودلفت لابنتها لتخبرها بمن ينتظرها فتعالى صوتها بأنها لا تُريد مقابلة أحد، خرجت السيدة يائسة من ابنتها فتقدم إليها (وائل) قائلًا:

- -أعرف أنها قد تكون خجولة بعض الشيء خصوصًا أننا قدمنا دون ميعاد

نعتذر عن ذلك لأننا لا نملك هاتفها، سأحاول إقناعها بكلامي من وراء بابها-.

وأردف بعدما أحس بتقبل كُل ما يُقال:

- -كما أننا مسافرون لو أمكن أن تُعدي لنا أكواب القهوة لتعيننا على تعب السفر- .

اتجهت السيدة كالمسحورة تجاه رواق اختفت فيه خلف جدران المطبخ، أخرج (وائل) من حقيبته ورقة وقلم، فهمّ بكتابة شيء على الورقة فسمع صوت (مُراد) يصله مُحدثًا:

- -أعذرني . . ظننتك أبله لا تُجيّد التصرف- .

ابتسم وائل وهو يُرسل الورقة من أسفل الباب كسفينة في اليم تعبر للضفة الأخرى، وقال وهو يستدير لـ (مُراد):

- -وحسبتك مُتقِن الحديث فكنت أفشل لسان- .

ابتسم (عامر) بين مبارزتهما الشفوية، فُتح باب غرفة (ملك) فانتبهوا لها بوجهها الشاحب ونظراتها الحائرة في تطلعهم، تدخلت السيدة لحديثهم الصامت وهي تحمل أكواب القهوة، فقال (عامر):

- -أعتقد أننا سنحتسي القهوة بغرفة (ملك)- .

دخلوا غرفتها، ولمح (مُراد) ورقة (وائل) التي يعتمر بها جملة

- الظلام يُطاردك وخلفه غراب -

وضعت السيدة القهوة، وقالت بحماس:

- -ابنتي أيضًا رياضية فازت ببطولة الجمهورية في تصويب القوس ثلاث مرات متتالية، وها هي شهاداتها مُلعلقة على الحائط-

قالتها ولم يستجب أحد بحماس كما كانت تأمل فصمتت، فضلت المكوث

لسماع حديث ابنتها لكن عاجلها (وائل) بكلمات لينة لتركهم يتحدثون معها دونها فتركتهم، جلست (ملك) على فراشها واجهتهم، وجلبوا هم كراسي تراصت أمامها كبنيان مصقول بالأسئلة والرغبة في المعرفة .

ران الصمت للحظات وسط نظرات ملك إليهم، فسلموا لـ (وائل) دفة الحديث يبحر بها في الأسئلة، فقال:

- -مِن أين نبدأ ؟!-

فقالت وقد شبثت نظراتها إلى (وائل):

- -مُنذ ما رأيت الظلام- .

(٢-)

ملك

المكان قد تكحل بالظلمة وارتدى ثوب البرودة، آخر ما أذكره أني نمتُ على فراشي أمس لكني أُحس بجسدي على فراش ليس لي، أُشيع الضوء في المكان، فتوارت عيناي وراء جفنيهما، سمعت همس بجانبي وشعرت بخطوات هادئة تترامى بانتظام، فتحت عيني وبدأت أتحسس الضوء، رأيت جنود ملثمين الوجوه كخريطة صماء يحملون أسلحة آلية، و بجانبي فُرش كالتي أجثم عليها وأمام كُل فراش مُلثم، يقبع عليها أجساد حيارى العقل . . مثلي .

عدلّت مجلسي في صمت وهدوء، نظرت لمن بجانبي فوجدت فتاة ملامحها تُوحي بأنها لا تمت بصلة لطين هذا البلد، وتناقلت البصر بين الجميع فوجدت ملامح مِن كُل لسان وموطن، أوروبيّة، أمريكيّة، إفريقيّة، آسيويّة وغيرهم، السمة المشتركة بيننا أن الجميع في مرحلة الشباب .

بسط على المكان الصمت وسط نظرات الحيرة والشرود، أشار كُل جندي للشخص الذي أمامه على الفراش بالقيام، حركة منظمة كآلات دقيقة، نهضنا دون إرادة فالتف كُل جندي باستواء والفراغ بينهم هي مسافة الفراش، دخلنا في هذا الفراغ حتى صار الترتيب - جندي – شخص - لنهاية الغرفة الكبيرة .

فساروا وسرنا وراءهم، سد سلسبيل الصمت المُتدفق أصوات متمردة على المسير دون معرفة، سرعان ما تم رفع هذه الأصوات عن السد فتدفق

الصمت من جديد .
وصلنا بعد المسير في ممرات وأروقة كثيرة إلى بهو كبير، مُجهزة لإلقاء ندوة أو ما شابه ذلك، فمنصة تعتليها شاشة عرض، في مواجهتها عشرات المقاعد فخمة الهيئة والمجلس، تراصت بانتظام كونت صفوف تمتد لآخر البهو الفسيح .
أجلس كُل جندي الشخص الذي يتبعه على مقعد معيّن كُتب على مسنده اسمه، جلستُ في الصف الأول، من بين خمسة مقاعد كان مجلسي ثانيها من ناحية اليسار .
جميع العيون والأحداق حدجت المنصة، فتبينت شيء منصوب عمودي على المنصة، أرى -من مجلسي - إطاره السميك المرصع بالذهب دون أن أرى ما يحتويه، ملتُ بجسدي قليلًا حتى لاقت عيني مرآة، تذبذبت صفحتها حتى خرج منها شخص .
سرت الهمهات بين الجالسين، سار الشخص بهدوء حتى توسط المنصة، كان يرتدي بدلة سوداء برابطة عنق حمراء، أبيض البشرة مُخضبة بالحمرة، جسده رياضي حتى في بدلته يظهر ذلك .
دون مقدمات بدأ يتحدث بالإنجليزية، كُنت أجيدها لكن بأذني صوت يتلو ترجمة للقول غير الذي أترجمه بعقلي، تحسست أذني فوجدت سماعة تُحيط بأذني، لا أعرف متى وضعت لي، وقت شرودي أم وقت نومي .
تنبهتُ للحديث بين تساؤلاتي فسمعته يقول:
- -أعتذرُ أولًا عن الطريقة التي جُلبتم بها، لكن عندما تعلموا غايتنا ستشكروننا- .
طرح سؤالًا:

- -هل يُمكن أن نُحب شخص دون أن نراه ؟!-
صمت لوهلة وأتبع بصوت تمازجه الحماسة:
- مَن منا لا يُحب شخصًا أو رمزًا دون رؤيته، فالمؤمنون بالله لا يرونه ويحبونه ويهابونه وأنبيائه كذلك، رغم أنهم لم يروهم قط، العلماء والأبطال التاريخين والقادة العسكريين، حتى كثير مِن المُعاصرين قد لا نراهم إلا على الشاشات ونشعر تجاههم بالحب والإجلال -
آعاد الصمت بين طيات المكان، فترامى لمسامعنا سؤال مِن الخلف:
- -مَن أنت ؟! وماذا تُريد منا ؟!-
استحسن السؤال كأنما انتظره فأجاب:
- بل ماذا تُريدون أنتم ؟! العالم قحط، مُستقبلكم مُهدد دائمًا بتقلبات الاقتصاد العالمي العقيم، محكمون بنظام الجشع والظلم ولو كنتم في أشد البلاد ديمقراطية، أنتم أيها المُختارون لن تستطيعوا العيش بين طيات روتينية العالم، أنتم صفوة اخترناهم لأنكم لن تقبلوا بالعيشِ هكذا دون ارتقاء، فمعنا ستكون لكم فرصة التغيير في العالم أجمع، فكروا في سلطتكم على كُل جوانب هذه الأرض العظيمة، فكروا في خير لها يتربع على عروشها بدلًا مِن جور الأنظمة، فكروا في مستقبل مُشيّد بالعدل لأبنائكم، كُل ذلك سيتحقق على يدنا، معكم وبكم، فمَن قبل أن يكون معنا واستحقها بالفعل، سيكون من جنود القائد المحدودين للغاية، يحكموا معه العالم كذريته، ينشروا الخير والعدل والسلام، لا مجرد رقم وسط مليارات البشر-
وأردف:
- أرى في عيونكم بريقا يتلهف البدأ معنا
استدار للشاشة خلفه , فلامسها فأضأت , فظهر شريط بأسفلها بحتوي

عدة مقاطع , أمسك أحدهم باصبعه و رفعه عن البقية لمنتصف الشاشة , فطفق يُعرض شيء لنا عنوانه - سيّد الظلام -
وقال قبل أن تأتينا مشاهده:
- -سأعرفكم على القائد- .
كان أشبه بالفيلم الوثائقي، مُتقن بحرفيّة، يُخاطب جميع المشاعر والأفكار، يتحدث عن حضارة ذلك القائد الذي لقبوه بـ - سيّد الظلام - وحضارته العظيمة التي قامت قديمًا وكان مركزها مصر، يتحدث عن المؤامرات التي حيطت به والخيانة التي تلقاها على يد كهنته أو عرافيّه، الذين عمى الحقد عيونهم ليتبوأوا الحكم، وتبدأ حضارة الظلام في الانهيار .
انتهى الفيلم فقال ذلك الشخص:
- -لكم الآن الاختيار بكل حريّة، إما أن تكونوا معنا وفي هذه الحالة سنشرع في الاختبارات والتصفية سيكون شيء أشبه بمعسكرات التدريب، كُلنا فيه أخوة ومُتنافسين، وإما مَن يُريد الرجوع فله ذلك، فسيعود لفراشه ولن يتذكرنا إلا في ظن الحلم فقط- .
سأل أحد على حواف المجلس قائلًا:
- -كيف يكون اللقاء بيننا هكذا ولأول مرة نراك وتطلب منا التفكير في الأمر ؟! كيف سنكون معك ونحن لا نعرف نواياك الحقيقة أنت وجنودك وقائدك ؟!-
- -الفضول، الحماس، حب التجربة والسيّر وراء المجهول، وصفات أخرى، أنتم بالفعل لم تختاروا هكذا، إنكم والحياة الروتينية في مفترق دائمًا- .
سألت فتاة بجانبي قائلة:
- -إن قبلنا، كيف سنمارس حيواتنا ؟!-

ابتسم ذلك الشخص وقال وهو يشير في جوانب المكان:
- -هُنا مكان له أبعاد أخرى، أنتم في عالم خاص غير الذي ألفتموه، فستنالوا كُل شيء مطلوب هنا وتمارسوا حياتكم بكل أريحية- .
وأتبع:
- -الآن ستذهبون لأسرتكم لتقرروا لديكم ثلاث ساعات منذ اللحظة- .
قررت أن يكون لي قول في هذا الأمر فسألته وأنا أنهض مع الجميع:
- -لم تجب على سؤالنا . . مَن أنت ؟!-
- -أنا مُساعد القائد- .

(١-)

قبلتُ ذلك، لا يسألني أحد لِمَ . . التجذر في المجهول جنون مُخيف، لكنه ممتع،
قبلّ مثلي قلّة، ورحلت الأغلبية، كُنا نتجاوز العشرين بقليل .
مضت شهور وحياتنا الواقعية كما هي، ينقصها ساعة أو ساعتين على الأغلب مِن النوم . يُحضروننا في ذلك المكان عندما نغفو في الليل، نقضي ساعات، ثم نعود فنجد أن لم يفر مِن الوقت إلا القليل، كانوا يعتمدون على نسبية الوقت بين هذا المكان والواقع، كان ذا أبعاد خاصة بالفعل .
نشأت الصداقات بين كُل المُدربين كما أنهم مِن جنسيات مختلفة وهذا ما أحببته في الأمر، نذهب نتلقى العقيدة وتتأصل بنا، شهور نقضيها في ذلك فقط .
في هذه الفترة، وبعدما فعلته (مريم) في (نور)، قررت مُساعدتها، ففي مرة سألت مُساعد القائد عن إمكانية جلبها معنا، خصوصًا أن الأمر يتعلق بالظلام وهي تعشش فيه الآن، رفض في بادئ الأمر، لكنه عندما علم قصتها بالكامل، استحسن الأمر وما حال بينها وبين مجيئها معي بل وعدني أنه سيحاول أن يجد حلًا يُعيد لها بصرها .
وفي الصباح ذهبتُ لها وقد مهدت الطريق لها بزيارات سابقة في الدار الذي تُقيم فيه بعد أن ضرّ بصرها، كان الأمر يصعب شرحه فاتفقت معها أننا سنذهب معًا رحلة علاج سأرعاها فيها وأضمد جراحها التي سببتها لها، عندت في البداية فقد عرف الحبُ لها سبيلًا عن طريق الشاب الضرير الذي

يُعلمهم كيفية تقضية أمورهم وحوائجهم دون مساعدة أحد، وفي النهاية رحلت معي آملة العود له، فكان فراق بلا دموع أو وداع، وبعد جلسة واحدة مع مُساعد القائد قُبلت (نور) وأصبحت معنا وأنا أرافقها في مسيرها وأشرح لها ما نرى في الأفلام التي تُعرض علينا باستمرار .
أستطيع أن أقصّ هذه الفترة بوضوح أكثر، فبعدما اُنتشلت منهم استطعت التفكير في هذه الفترة بزاوية أوسع، وبمراقبة وفحص وتعمق في زواياه النفسية أكثر .
فكان تأسيس العقيدة أول المراحل، تُصقل بثلاث سُبل أطلقت عليهم: التدعيم – التكرار – العدوى

التدعيم: تدعيم الفكرة والعقيدة .

دائمًا ما كانوا يعرضون علينا أفلام تاريخية عن فترة حكم القائد ومدى عدله ورحمته وشدته، ومدى الرخاء والنعيم الذي عاشته كل بلدٍ وطأ أرضها، بجانب آراء يقولون أنهم مثقفين ومؤرخين لفترة حُكم القائد .
فخلقت العقيدة سويّة لم يجعلوا لها عوجًا في عقولنا، وخاطبوا النواحي العاطفية كثيرًا واسقاط بعض المفاسد في العصر الحالي نشعر بها فيجعلنا ننبذ عالمنا ونرجو مجيء القائد المُخلِص وعصره الذي يطلقون عليه دائمًا - منهل الحريّة -

أما التكرار: تكرار وإعادة الأفكار .

صدق المثل الشعبي الدارج تحت جملة - الزن على الآذان أمرٌّ مِن السحرِ - حرث عقولنا وقلوبنا بتدعيم الفكرة وروى في أنفسنا بالتكرار بذرة القائد المُخلِص للعالم، تتبلور الفكرة والعقيدة في كُل مسير لنا في ذلك المكان .
في الراديو جانب أسرّتنا، التلفاز الضخم بالبهو، وقت طعامنا كانوا يلقنوننا جملة نرددها -السلام على سيّد الظلام، سيَد الموبقات والنعم -
جعلونا نُؤدي تحية عسكرية عند مجيئنا إليهم وعند رحيلنا، كانت التحية تُؤدى للوحة سوداء يحدها إطار مُزيّن لامع له بريق، حتى تشربتها أفعالنا وصرنا نؤديها تلقائيًا، كنت أرى في تلك الصورة السوداء القائد بفرشاة خيالي وتصوري له، أرسم له وقار ومهابة، حتى إذا خليت لظلام نومي أراه فيه بهيبته ورزانته المُتخيّلَة .
أخيرًا العدوى: تناقل الأفكار بيننا .

كانت هذه نتيجة لما سبق، دون أن يزيدون شيئًا علينا، خلقوا كرة صغيرة من الثلج وتركوها تهوي على تلال أنفسنا وكبرت بكثرة الثلوج بكل منا .
فأصبح القائد داخلنا دون أن نراه، في وجداننا وتفكيرنا وعواطفنا وظلامنا، حتى حكى كثير منا عن زيارة القائد في المنام له، وأن الصباح بزيارته يصبح مشرقًا مفعمًا بالحيوية والسعادة، وأنه فصيح اللسان وكلماته يتدلى منها البلاغة وسحر اللغة، حتى أخبرتني نور دون مرة أنها رأت القائد في المنام ومسح على شعرها فاستيقظت رائقة البال نقية الروح .
-القائد- كلمة انحدرت مِن أحداقنا وارتقت من قلوبنا إلى أفواهنا نذكره بأحسن الصفات والسجايا حتى صرنا لا نجد ملاذ منه إلا إليه، القائد فقط والقائد أخيرًا .

نكاد نتمزق شوقًا لمقابلة القائد أو رؤيته فقط يعود، أمسينا وأصبحنا ندعو أن نكون مِن جنوده المُختارين، بجانبه نُعينه على حكم العالم وسيادة العدل في الأرض .

تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية (التدريب) وتتداخل مع المرحلة الثالثة (الاختبارات المفاجئة)

بدأ التدريب بعدما استبعدوا قليل منا، الذين لم تتأصل بهم العقيدة جيدًا، و الموجودون الآن هم أكثرهم تأصلًا و انتماءً وكانت أشدنا بالفعل هي نور، تعلقت بشكل مرضي بالقائد القادم، كأنها في صحراء يابسة تلاعب بها السراب كثيرًا حتى رأت منقذها بعين الحقيقة، فتلهفت لخوض التدريب .

كان التدريب فردي بالبداية، يدخلوننا فرادى لغرفة صماء قاتمة، فجأة تُحس وتشعر أن جلدك يحترق أو يُبدل، شيء حارق ما يُغلفك، ثم تهدأ حواسك وتكف عن استقبال الآلام وتبدأ ترى في الظلام، كأنني في عُمق المحيط المُظلم وأرى كأينع عيون الأسماك رؤية، فجأة أُنير ثلاثة مصابيح، وسمعت صوت مساعد القائد يقول لي .

- -ابتلعي ضوءهم بعينيكِ- .

ارتبكت للأمر المُقال، تخبط عقلي في ممرات الأسئلة، ثم حاولت التركيز لما أُعيد قول الأمر، رأيت أمام عيني شيء ما يتسحبُ تجاه الضوء، فصرختُ فزعة، ثم تبين حدسي الأمر أن ذلك يخرج من عيني، فأعدتُ التركيز مرة أخرى، حتى وصلت تلك الأشياء مِن عيني إلى المصباح لتغشى بعضه .

- -هذا يكفي شكرًا لكِ- .

سمعتها من مُساعد القائد، ففطنت أني رسبتُ في هذا الاختبار، وقبل أن

أخرج أحسست مرة أخرى بذلك الشيء المُحرق لكنه يُنتزع مني، فأخذت جرعتي من الألم وتحسستُ الباب بعيني العادية وخرجتُ .
دلفت بعدي نور، التي سمعتها بعد لحظات من الدخول تصرخ بابتهال وتقول:
- -إني أرى- .
بعد دقائق خرجت سعيدة خضراء الأوراق، وقالت لي عندما أحست بوجودي:
- -كنت أرى بالداخل كُنت أرى- .
بعد دخول الجميع الاختبار جمعونا وعرضوا علينا شريط مصور لتجربة كل منا، هذا ليدب حماس المنافسة فينا، لكن أنا استباحتني الغيرة، حيث كانت نور تفوق الجميع حتى أذعن لها مُساعد القائد بذلك وأنا كُنت أدناهم، شعرتُ بوجودي يتآكل فيما هو قادم .
والقادم في التدريب كان أقوى وأشد، لكني أبدًا لن أنسى ذلك الأمر الذي حدث تلك الليلة، فيها لم أصحُ مثلما اعتدتُ على فراشي في هذا المكان، بل في غرفة التدريب، كانت مُحطمة تتناثر مكوناتها في الغرفة فتات .
دخل فجأة على اثنان ملثمان لم أنبس كلمة حتى أرداني باللكمات القوية في جميع أنحاء جسدي، حتى انتهيا مني وتركاني لساعات أتوجع ألمًا وأرتجف بردًا، فكان العراء رفيق تلك الساعات .
غبّ علي النوم تحت وطأة الآلام، صحوتُ على خطوات رجل خبط على ظهري بقدمه، فانتبهت له، رأيته يجلس على كرسي يعكس اتجاهه بحيث يعتمد بيده على ظهر الكرسي، وقال لي وهو يرسم ملامح الأسى والشفقة:
- -إني أشفق عليكِ، ها دول العالم ما بيضحكوا، وما حدث هون ما بيمشي

بسهولة- .
علمتُ أن لكنته تقرب لأهل الشام، حاولت تثبيت ملامحي على الوجوم حتى لا يتبين الفزع المعتمر في وقلت:
- -لا أعرف عما تتح . . . . .-
قاطعني قائلًا:
- -راهنوا أنك ستقولين ذلك، لكني حاولت مساعدتك أختي- .
صاح في أحدهم وأمره بالدخول، فدخل شخص يمسك بنور مِن شعرها، وهي تصرخ بقوة بين الكدمات التي تملأ وجهها، وهي لا تتبين أين تسير، فدفعها وسقطت بجانبي فضممتها بصدري وهي تبكي بشدة وقال لي:
- -نور اعترفت عليكِ أنك جلبتيها هون، هلا عندك حلّيّن- .
أتبع وهو ينهض من كرسيه ويشير بإصبعيه:
- -الأول أنك تقولي كُل شيء تعرفيه عن هذا المكان وفي هذا الحل خير لكما فسنترككما لأننا بنعرف أنكما مجرد متدربتين واحنا بدّنا معلومات فقط، والثاني أنك تصممين على موقفك وساعتها . . .-
صمت لوهلة صب فيها الصمت لي الفزع والخوف بمرجل قلبي، وأدرف:
- -سنقتلكما آسفين- .
دق قلبي بعنف أمام ابتسامته المرعبة، وبين تفكيري المُستطار تصرخ في (نور) ترجوني الاعتراف، قُلت مُستهلكة آخر ما عندي من مقاومة:
- -صدقني أنا لا أعلم شيء- .
لم تتغير ملامحه، فقط قال كلمة واحدة - اقتلوهما - وخرج من الغرفة، ودخل رجال ملثمين آخرين، كبلوا أيدينا، و أخرج أحدهم مسدسًا وصوبه بمواجهتنا، وقف أمام (نور) وأطلق النار عليها دون تردد فارتمت للخلف،

تقدم نحوي والمُسدس أمام جبهتي ينفث دُخانه الذي قتل (نور) كآثار السم بأنياب الحيّة، أغمضتُ عيني والدموع تفر منهما و قلبي يثور بجيبي، سمعت صوت الإطلاق، فصمّ أذني وحواسي أجمع عن أي شيء، لكني لا أشعر بألم، فتحت عيني بأنفاس مُضطربة، فرأيت مُساعد القائد يقف أمامي مُبتسمًا، تتحرك شفتيه لكني لا أسمع ما يقول، فصوت صفير يجتاح مسمعي، نضب صوت الصفير وعادت الأصوات تتدفق من جديد، سمعت بجانبي كلمات لـ (نور) كأنها تعتذر، وتبينت كلمات مساعد القائد الذي يقول:

- -لقد نجحتي في الاختبار- .

- -اختبار !!-

صرخت بها في وجوههم، فحاول تهدئتي ففشل وأنا أنثر عليهم غضبي وسخطي، تلاحقت أنفاسي في اللهاث، بعد فترة هدأت ثورتي، تقدمت إلي (نور) بعيون مدمعة وهي تقول:

- -آسفة، هذا لأجل الصالح العام- .

- -أي صالح عام يجعلكِ تفعلين هذا بي- .

لم تتكلم بعدها فقط سقطت على صدري وهي تبكي، فتقبلتُ اعتذارها الباكي، دخل علينا مُساعد القائد وقال:

- -قد مررتي بنصف الاختبار، بقى النصف الآخر- .

- -وما هو ؟!-

- -غدًا، ستمثّلي كيفما مثلّت (نور) عليكِ أمام شخص آخر، فـ (نور) مرت بنفس الاختبار ونجحت مثلك وأتمت اختبارها، فيجب عليكِ إتمامه أيضًا .

وافقتُ وأنا أمقته، وذهبتُ لفراشي في المكان، لا أعرف كيف الظلم يدفعني

لفعله مع شخص آخر وأجعله يتجرع نفس الألم في نفس الكأس لكني فعلت .

زادت الاختبارات وزادت حدتها وكلما قربوني للموت أمقتهم وأسخط عليهم أكثر، حتى جاء اليوم الذي انتهى فيه كُل شيء .

(٠)

كُل شيء كان يبدأ من نومي في منزلي، فأصحو على فراشي في هذا المكان، لكن المرة هذه لم أصحُ على فراشي ولا في غرفة التدريب، بل مُكبلة على مقعد في بهو المكان، وأمامي (نور) تمسك مُسدسًا بعيون مُهتدية حمراء اللون، لا يعرف العمى لها سبيل .

نظرتُ جانبي فرأيت أربعة أفراد مُكبلين مثلي على مقاعد وأمامهم أربعة يقفون مثلما تقف (نور) بمسدسها المواجه لرأسي، وجميعهم مِن الذين كانوا يتدربون معنا .

حسبتُ الأمر اختبار كما جرت العادة، لكنه كان حقيقي، (نور) أبصرت عيناها، تقف بثبات، وتنظر إليّ نظرات خجلة تحاول الصمود أمامي .

-الأمر مجرد اختبار-

حدثت نفسي بتلك الجملة مرارًا وتكرارًا أخدع بها نفسي، وأني لموقنة أنه ليس كذلك، دخل مُساعد القائد مُزين الملابس عن كُل مرة نراه فيها، كأنه يشهد عُرس أحد أبنائه، وقف خلف صفهم المُستعد للقتل، وقال وهو يتجول ذهابًا وإيابًا أمامنا:

- النهاية هُنا، أعتقد قد وضُح مَن سيكمل ومَن سيرحل للأبد، ومادام رحيلكم طويل الأمد، سأخبركم بما يحدث وسيحدث، لعلي أُعوضكم بالعلمِ ما عانيتم فيه معنا، فأنتم أنجب مَن قدم لهذا المكان، لكن التصفية النهائية تتطلبُ أفضلكم للفعل وأطوعهم للأمر، صدقوني ستسامحونا عندما تروا العالم مِن السماء بشكل أفضل ورائع بعد قدوم القائد، وقتلكم ليس شر، فبعض

القتل خير، قتلكم لعدم فشل المهمة إن أخبرتم أحدًا بها، وأنا لا أستطيع التحكم بألسنتكم، أنتم الآن عرائس مُشيدون للموت، وهذه تضحية غالية منكم سنتذكرها دائمًا -

الجميع تقبل الأمر، كأنهم خراف يقولون لهم سنذبحكم وسنفيد مِن خيركم، استسلم كُل منهم لموته فمات قبل موته .

صدعت صوت الرصاصة الأولى في رأس أول الصف، فترامت روحه وذهبت بعيدًا، لم أنبس كلمة، ولكني لم أُبين الاستسلام للموت أبدًا، أنا أمقته ولكني لا أخافه .

غدا صوت الرصاصة الثانية والثالثة، ونالت الرابعة مِن أذني صفيرًا وجاء دوري .

رفعت (نور) المسدس تجاه جبهتي بيدٍ مرتعشة، وواجتها بعيون لا تزيغ عن عينيها بالاختراق، وقفت يدها كثيرًا، حتى طال الوقت علينا جميعًا، فرت منها الدموع واجهشت بالبكاء وقالت:

- -لا أستطيع، لا أستطيع- .

اقترب منها مُساعد القائد وقال برفق:

- -لا عليكِ، إن صعب عليكِ فأنا سأفعلها- .

- -لا أريدها أن تُقتل- .

ابتعدت البسمة مِن على وجه المُساعد وقال بصوت أغلظ قليلًا:

- -أطيعي الأمر- .

- -لا لن يقتلها أحد- .

واستدارت وهي تشير بالمسدس تجاه كُل مَن يقترب، تجمع الجنود الملثمون حول البهو مُتأهبين لأي شيء، قالت (نور) كلمة وكأنها نهاية كُل شيء:

- -بحق (أباجير) لا تقتلها- .
فجأة أحسست بشئ يخترق جسدي، ليس بثقل الرصاص بل أشبه بالمُحقِن تسرّب وعيي مني، وآخر ما شاهدته وجه (نور) وهي تصرخ علي
بعدها أفقت وأنا بفراشي بمنزلي، وأعرف أن (نور) أنقذتني من الموت، وأن كُل ما جرى لم يُكن حلمًا .
أكملتُ حياتي باعتزال الناس، تنسكتُ عن كُل شيء وبقيتُ بغرفتي جُلّ وقتي إن لم يُكن كله في أيام كثيرة، سمعتُ عما حدث لمريم وزوجها، وهُنا شعرتُ أني يجب أن أتحدث عما مررت به، وإن لقيت الموت .

(٩)

- -أباجير !!-

قالها (عامر) فتنبهوا لصوت غير صوت قصة (ملك) التي انتهت منها، فسألته (ملك) قائلة:

- -هل تعرف شيئًا عنه؟-

أومأ برأسه ثم التفت إلى (وائل) وقال:

- -أجرينا معًا حوار صحفي عن هذه الأسطورة ألا تذكر- .

- -نعم أذكر، لكن لا أتذكر تفاصيل ذلك الحوار، كما تعرف لم يُنشر وانشغلتُ في أمور بعدها جمة- .

عم الصمتُ لحظات ثم قال (عامر):

- -عندي كتاب به مُختصر عن كُل شيء يخص أباجير، ومن جميع المصادر التاريخية- .

- -تاريخية !!-

قالها (مُراد) مُستنكرًا، فرد عليه (عامر) وهو ينهض:

- -سيشرح الكتاب كُل شيء عنه، على الأقل أمسكنا خيطًا جيدًا نسحب به ما نجهل- .

- -قد توصلتُ لتفسيرٍ ما أيضًا مِن قصة (ملك)- .

قالها (وائل) تعلقت نظراتهم به فأتبع:

- -قالت (ملك) أن (نور) رفضت قتلها بعدما أبصرت وعيناها توهجتا بالحمرة، يعني أن (نور) كان مستحوذ عليها آنذاك وبالرغم من ذلك كانت

(نور) الموجودة والمتحكمة بجسدها، فهنا نرى قاعدة أن مَن يُستحوذ عليه بإرداته يكُن هو المُسيطر بجسده لكن بقدرات الثقب، ومَن يستحوذ عليه دون إرادته يكُن غير مُسيطر على جسده، وهذا يفسر الفرق بين شخصية (نور) الظاهرة و (عصام) الذي لا نراه بجسده- .

استحسنوا هذا الفرض والتفسير فقال (عامر) بحماس:

- -هيا بنا إلى منزلي نتبين بقية الحقيقة- .

- -ستتركونني بعدما عرفتم كُل ما عندي !!-

قالتها (ملك) فنظروا لبعضهم في حيرة، حتى قال (وائل):

- -بالفعل يجب أن تأتي معنا، فقد يؤذونها- .

وافقوا على مضض، ونزلوا وانتظروها بالأسفل، وانتظروا كثيرًا، فاستغل (مُراد) طول الانتظار واتصل على عائلته يطمئن عليهم ويطمئنهم عليه .

قال (عامر) وهو ينظر لساعته:

- -أعتقد أن نهاية العالم ستكون بسبب تأخر امرأة ترتدي ثيابها- .

وأتبع مُستنكرًا:

- -ذاهبون نحن لوقف شيء يهددنا أم للتسوق !!-

نزلت (ملك) أخيرًا، وركبوا سيارة (مُراد) فسألها:

- -لِمَ تأخرتي ؟!-

- -كُنت أُمهد لأمي غيابي الذي قد يطول عنها، ووفرت لها كُل ما تحتاج الفترة القادمة- .

بعد دقائق وصلوا إلى بيت (عامر) نزلوا مِن السيارة فقال (عامر):

- -يجب أن نُصلح الزجاج الأمامي الذي هشمه (عصام) بدلًا مِن أن يرمقنا الناس باندهاش- .

وأتبع (وائل):
- -كما أنه يُشعرني بالبرد- .
صعدوا للمنزل، فهرع (عامر) لمكتبته وفتش عن ذلك الكتاب ووجده، كان كتاب بعنوان - أساطير المصريات - لكاتب يُدعى - وليد عمر واكد - نبش في الفهرس وبحث فيه عما يريد مرّ على -أسطورة دلوكة- و -أسطورة الجبتانا- و -صراع الجبتوس - حتى وصل لـ - أسطورة أباجير - وبعدها تُبحر بقية الأساطير في الكتاب، فتح صفحة الأسطورة، تجمعوا حوله وبدأوا يقرأون .

أسطورة أباجير
(أقسم على العودة وتحقيق حلمه باحتلال العالم أجمع)

(١٠)

أسطورة -أباجير-، تلك الأسطورة بديعة الخيال وجمة الجدل بين المُنكِر لها والموقن بها تكاد أن تتمزق جدلًا، لكن وفي عصرنا هذا أُعتبرت أسطورة خيالية، ولأن التراث مليء بالروائع فأحببت الكتابة عنها، لكن قبل قصّها عليكم يجب أن أعرض ظروف نشأتها .

توطئة عن نشأة الأسطورة

بزغت الأسطورة مِن حيث لا ندري أو نحتسب في العصر الروماني لمصر، ولكن باسم آخر له غير أباجير وهو - سيّد الظلام - واسم أباجير أُطلق عليه فيما بعد كما سنعرف، بدأت الأسطورة تأخذ شكلًا وهيكلًا في جسد التاريخ الهَرِم بتفسيرات ودعائم ودلائل وكذلك على النقيض بالنفي والنقد والتكذيب، حتى اندثرت الأسطورة بغتة كما ظهرت فجأة كنبتة شيطانية ببستان التاريخ .

أُعيد إحيائها مرة أخرى في العصر الإسلامي العربي بمصر، الذي استند علماء التاريخ فيه على كتب تروي أسطورته مُنذ العهد الروماني، وهُنا أُطلق عليه اسم - أباجير - وهي مشتقة مِن كلمة - بُجر- وتعني في المعجم الرائد كلمات مثل - شر – عجب – أمر خطير عظيم – مصيبة - وكُلها كلمات تدُل على أن سيّد الظلام أو أباجير كان شخصًا عظيم الدواهي شديد الفتك وجمّ الحنكة والذكاء .

لكن جميع تلك التفسيرات والتخمينات هُدمت على يد - شامبليون - العالم الفرنسي الشهير الذي فكّ رموز حجر رشيد وعرف طلاسم الكتابة المصرية

القديمة ومعانيها، أساطير وتفسيرات مهولة في التاريخ سقطت كالأصنام الذي أسقطها إبراهيم – عليه السلام – لكن هذه المرة في معبد التاريخ، ومعها بالطبع أسطورة أباجير .

لكن كما ذكرت في السطور السابقة، الحكاية أحق أن تروى لروعتها وخيالها الجامح والتراث الرائع الذي يمُكن أن نوهج به آلاف مِن شُعل الخيال المُضيئة بلغتنا العربية العظيمة، تعالَ معي نمتطي حصان الزمن الذي سيرجع بنا لمصر مذ آلاف السنين .

(١١)

نزلتُ مِن حصان الزمن حيثما يعرف مربطه جيدًا في هذه الحقبة، لامست أرض الزمن كطيف زائر لأهل التاريخ ففتحوا لي بابهم أستطلع ما فيه مُطبق الصمت على لساني .

الرجوع بالزمن أصابني بدوار خفيف وعدم ملاقاة المثيرات بالحواس، عادت حواسي تجمع فتات قوتها وشرعت في النشاط رويدًا رويدًا، فرجعت مشوبة بصراخ امرأة، يندلع صوتها مِن قصر كبير مُشيّد بأثرى الأشياء في هذا العصر معمارًا وزينة .

طفق الصراخ يهدأ لمهده الأخير بحنجرة الصارخة، فدُفن أسفل لحَد ابتسامتها وهي ترى مولودها الذي رأى فيه الصراخ سبيلًا للفرار مِن موته بين جدران القصر، دلف رجل يعتمر رأسه تاج ذهبي يُثقل حركته مِن صفاءه، ابتهجت أساريره عندما رأى مولوده .

سرعان ما دُقت الطبول ونُصبت الاحتفالات حول المدينة كلها، يطوف الملك بابنه الجديد حول البلاد في حراسة أشد ما تكون تُمسك بعربة مُزينة والرقيق إطارتها المُتحركة، والأم تتعافى مِن سكرات الولادة في المقعد الخلفي مِن العربة وهي تنظر لزوجها وابنها بابتسامة عذبة وعقل يحيك ثوب الدهر للعهد الجديد .

ركض أمامي حصان الزمن فلحقته وظلّ يركض في السنوات كأنه يقول لي أن هذه السنوات هوامش، أحداثها مُؤثرة مع بعضها فيجب أن ترى نتيجتها .

مرّت السنون وأرض الأم بوار، لا تنبت ولدًا ولا تذر عشقًا، لا أعلم أكانت

لقحط أرضها أم عيب في ماء زوجها، كثرت الخلافات وتصاعدت بين الملك وزوجته حتى أردت حُبهما أرضًا، ورغم ذلك انصب اهتمامهما على الطفل الذي أصبح بعُمر مراهق بعد هذه السنين الطويلة، عُلّم فيها كثير العلوم وسُقي بمهارة الفروسية والحروب، وتزعم عقله توسيع حدود مملكة أبيه .
كان هذا يُقلق والداه بشدة، فابنهما الوحيد لا يريدان أن يزوره ملك الموت وسط الوغى، خاصة أن فرصهما بمولود جديد أصبحت شبه مستحيلة، وأطبق ذلك قانون المملكة وهو ألا يحق للملك الزواج غير واحدة إلا في حالة موتها يحلّ له الزواج بغيرها .
فضيقا عليه الخناق والسبل لذلك لكن الفضاءات المطلقة تبدأ مِن الجحور الضيّقة، فشرع ينثر بذور الفتنة بين والديه ليشغلهما عنه، يصوغ المؤامرات مِن أوهام عقله ويزرعها بعقول والديه عن بعضهما، فتركا له الحرية وانشغلا عنه .
شارك في الحروب، احتل المدن مِن الشرق: بلاد الشام .
للغرب: دول شمال إفريقيا .
والجنوب: دول منبع النيل .
قوّى ممكلة أبيه أو مملكته بعدما أصبح الحاكم الفعلي للبلاد، أصبح خطر يتحاكى عنه الناس كالأساطير .
تفاقمت بين والديّه الخلافات وتجذرت الدسائس بينهما، حتى جاء الوقت لكي ينحاز فيه أباجير إلى أحدهما، فكان انحيازه لوالدته ليس تأيدًا لها بل ليكون كرسي المملكة فارغًا تمامًا وإن حاز بكل السلطات الفعلية، فدبرا المؤامرة ووقع الملك في شركها صريعًا، فتبوأ الحكم على قوةٍ وأمه تنفث فيه العظمة والكبر .

شبابه زُهق بين الحروب والمعارك بين خسارة وفوز، فتح وتقهقر، أصبحت رهبته في قلوب الناس مهزوزة اليقين، لكن جاء يوم حيث تغيّر كُل شيء، هُزم جيشه شر هزيمة قُتل عن بكرة أبيه فلم يذر منه أحدًا . . سواه .
لاذ بكهفٍ بحواف المعركة لم يرصده عدوه، لا أحد يعرف ماذا حدث داخله، لكن بعد يوم واحد خرج منه على جيش عدوه الذي عسّكر في مكان المعركة على جثث جنوده، كانوا ينشدون الخمر واللحم في احتفالٍ كبير .
نظروا له، تريّبوا ظهوره أمسكوا بأسلحتهم تربصوا بسيره المثير للأعصاب مُهيّج المخاوف وغرابه الناعق والطائف حوله، فجأة صرخ بقوة تشق أُفق الصمت وتصم الآذان، غشى الظلام العيون ران الصمت للحظات بعدها تفجّرت براكين مِن الصرخات المُتألمة .
رجع أباجير مصر – مملكته المتضخمة – برأس قائد الجيش رافعًا إياه أمام شعبه الصائح بحياته العظيمة .
غرق الناس في رهبته حتى مُلؤا منه رعبًا، أقسم على أن يعزو العالم كله ويصبح تحت سيطرته، مملكة جديدة مركزها مصر .
بدأ مِن المركز، طفق ينشأ نظامًا جديدًا لعهده القادم، خلق جيشًا قويًّا لا أحد مِن شعبه يقدر عن التخلف عنه، أرسى دعائمه بالداخل فما عاد سواه يقرر ما سيحدث في مملكته مُترامية الحدود، غير أنه قرّب إليه ثلاث مُنجمين يستشيرهم في بعض الأمور كانوا أقرب إليه مِن أبنائه وأمه المُستكينة خوفًا منه أُطلق عليهم - كهنة أباجير-، كان رمزهم طائر البوم، واشتهروا بحمل الفؤوس ووجوههم المخفيّة عن أعين العامة فكانوا يرتدون قلنسوة مدببة تُغطي ملامحهم، وسرعان ما أصبح لا يخطو خطوة إلا بمشورتهم لصدقهم في تنجيمهم الدائم، وصار بهم قوة راشدة الخُطوى لا تُرد .

فاستباح بلادًا ودثر جيوشًا ونثر بذور نظامه في كل مكان وطأت قدمه وظلامه، أذاق شعوبًا المُر في كؤوس مِن دماء وظلام، الجميع يرضخ له، تألّه أباجير بخنوع شعبه وخوفه واستسلامه، وتحت لواء القمع الكل يقبع مُتجمعين ساكنين كالخراف، ربما الناس لا يحتاجون بطلًا يجمعهم بل يحتاجون وحشًا يرهبهم .

سُميّت مملكته - مملكة الظلام - شعارها عين الغراب الذي يعتمر كتف أباجير دائمًا

وكانت مِن العجائب التي أُثيرت حول أباجير هي تلك المرايا السحرية، فكان يُرسل غراب إلى مكان مُعين يراقبه فيرى على مراياه ما تراه عين الغراب، ويرسل رسائله بلسان الغراب كأنه رسول ناطق بحروف أباجير وصوته .

غيّر قانون مملكته في الزواج ليحق له مضاجعة أي امرأة شاء، القانون الذي لم يتجرأ أباه على تغييره، فلو بدله أباه لقامت عليه المملكة لكن عندما بدله أباجير لم يستطع أحد التفوّه بكلمة، فالحاكم الضعيف لو فعل شيء خاطئ يستنكف منه كل مَن له لسان بالسب والقذف والاتهام . . أما لو ارتكب الحاكم القوي أهولًا يبسملوا بذكائه وحكمته وفطنته التي ليس لها مثيل .

أقسم أباجير على أن تكون له ذرية فشق بماءه ثلاثين أرضًا أنبتت له ثلاثين طفلًا أغلبهم ذكور والبقية إناث، ورثوا عنه الظلام لكن بقدرات أقل منه، وكان لكل منهم غراب معه مُذ لحظة ولادته .

كانت ذريته عنده سواء عدا اثنان . . ابنته الأولى مِن الإناث المُحببة لقلبه، وولده الأخير المُتمرد عليه مُحتد الحديث معه .

انهيار مملكة أباجير . . مملكة الظلام

اشتهر أباجير بالسيفِ لكن مَن عاش بالسيفِ مات به .
بدأ الأمر بخلاف بين أباجير وكهنته، بعدم إكمال احتلاله لمزيد مِن البلدان والحضارات لمدة طويلة، لأن القادم فيه دمار، فما بعد الكمال إلا النقصان والانهيار، هكذا رأوا .
لكنه ولأول مرة لم يصغِ إليهم وأصر على الإكمال، فتصاعد الخلاف حتى بلغ مِن الأمر عتيًا، فقرروا قتله بقتل غرابه، حتى لا تضيع المملكة، علم بهذا الأمر، فقامت بينهم معركة شرسة انتهت بأن حبسه الكهنة تحت الأرض، حيث الظلام بعينه، هو وذريته، أقسم على العودة وتحقيق حلمه باحتلال العالم أجمع .
تبوأ الكهنة الحكم في وقت إضطرابه، فقتلوا غدرًا على يد ثورة اندلعت ضدهم، وبعدها بدأ انهيار مملكة الظلام للأبد .
ملحوظتان هامتان:
الأولى: أن الكهنة هم مَن منحوه تلك القوة الغامضة في الكهف لذلك استطاعوا حبسه وإحجامه هو وذريته وارثة القوة ذاتها .
الثانية: يُورد في بعض الكتب أن الكهنة تركوا أشياءً تقاومه وتقوضه إذا ما عاد مرة أخرى .
انتهت أسطورة أباجير سيّد الظلام، قديمًا كانت مُصدقة عند الأغلب والآن مُكذبة ومُندثرة، ويظل يقينها مِن عدمه عند الله وحده .

(١٢)

- -المسوخ هم أبناء أباجير، ومسوخ المسوخ هم المُستحوَذ عليهم، والوحش هو أباجير- .

قالها (عامر) وهو يمسك بالورقة وأدرف:

- -اجعلونا فقط نجمع شتات أنفسنا من تيّه هذه المعلومات، هناك شخص أسطوري يُدعى أباجير لديه ذرية تُقدر بـثلاثين ابنًا لكل ابن غراب خاص به موته يعني موتهم أو موت قدراتهم على أقل تفسير، هُناك مَن ساعده واستقطب أُناس ودربهم حتى يكونوا جنود له ويجمعوا بأنفسهم أشخاص أخرين يستحوذ عليهم أبناء أباجير، ونرجع لنقطة هامة أن أباجير أقسم على العودة وحكم العالم، يعني أنهم الآن يعملون على عودته، ويبدو أن عودته بوجود أبنائه في الأرض، كيف سيُعود؟! هذه لا نعرفها، متى؟! أصبحنا نعرفها . . عندما يُتموا الثلاثين شخصًا وهذا ما بيدنا لنمنعه- .

وأضاف (مُراد):

- -وقد وصلوا بالفعل لثمان وعشرين شخصًا- .

- -ولا تنسَ أن هُناك غير (نور) يقوم بتلك المهمة، فهناك جنسيات أخرى وعيون أخرى خرجت من ذلك المكان كما قصّت (ملك)، فقد يكونوا وصلوا لذلك العدد بالفعل أو لم يتبقَ إلا واحدًا فقط- .

قالها (وائل) فزادهم القول خوفًا من تمام العدد، وهواجس ما بعد تمامه، قالت (ملك) وقد أينعت بعقلها فكرة:

- -لو لم يتبقَ غير واحد، فأعرف مَن سيكون- .

- -مَن ؟!-
- -(أيمن)-
وأتبعت:
- -(أيمن) هو الشخص الضرير الذي كانت تحبه (نور) أثناء وجودها بالدار، بالتأكيد ستجعله معهم كي يبصر مثلها- .
فنقد (عامر) طرحها قائلًا:
- -ولِمَ لم تفكر فيه من البداية ؟!-
- -لا أعلم ربما حاولت وفشلت في البداية لكن أعتقد أن لو تبقى شخص فسيكون هو حتى لو ستجبره على المجيء- .
قرروا النزول والذهاب إليه، كانت الدار بعيدة عنهم، فطووا المسافة في ساعتين، وفي قلوبهم يختلج الخوف مما هو قادم .
شرع الليل يخيّم ويبسط أذرعه على السماء، رأوا كتلة كبيرة سوداء تقتربُ منهم، تبينوها فكانت لسرب مِن البوم يأتي عليهم، ارتبك (مُراد) لما أحاط السرب بالسيارة حتى دلف بعضه للسيارة مِن النافذة الأمامية .
راح يدير دفة القيادة دون وجهة يمينًا ويسارًا أملًا في إبعادهم، لكنها تأبى وتجانس حركته، فجأة انصرف هذا السرب وتركهم، توقف (مُراد) يتبين ما حدث لهم في السيارة فوجدهم بخير، نظر جانبه فوجد شيئين، الأول ظرف آخر مثل السابق، الثاني آلة عجيبة، عبارة عن مجموعة أوراق مسندة على مسند صغير مُربع يلائم الأوراق، ويقبع فوقها قلم مثبت مِن جذر المسند الورقي، وموضوع بحيث يواجه نصل القلم الأوراق مِن فوق .
أكمل طريقه وبقيتهم يفضون طلاسم ما بُعث لهم، فتحوا ذلك الظرف فوجدوا ورقة مكتوب بها:

-دماء عذراء السواد وساعد الوحش ورماد عين بفجوة مطوية مُنذ ملايين السنين -

لم يفهموا ما كُتب، فنظروا يتأملون تلك الآلة العجيبة، حاول أحدهم تحريك القلم ليلامس الأوراق فأبى الحراك وأصر على السكون .

وصلوا أخيرًا للدار المنشودة كانت الدار مِن طابقين متساويين، نزلوا مِن السيارة وهم يفكرون فيما جاءهم، حتى قال (مُراد):

- -قالت الأسطورة أن البوم هو رمز الكهنة، هل يحاولون التواصل معنا ؟!-

بقيت الكلمات تجول في عقولهم حتى أيقنوا بذلك دون أن يتكلموا، دقّوا الباب وانتظروا حتى فتح شخص الباب، كان مُبصر ولكن ملامحه تبحر في بحيرة الفزع، فسقط على الأرض فجأة، فانهال عليهم من مسقطه بعض القطرات الفزعة مِن البحيرة .

لا يعلموا ماذا يفعلون، فدلفوا وأسندوا ذلك الرجل على كرسي مِن كراسي البهو، ودخلوا يهتدوا بشيء ينير عقولهم .

جالوا بهدوء الدور الأول فوجدوا جيمع مَن فيه جاثمين مكانهم لا يتحركون، كبلهم المُخدر في غياهب الوعي لذلك ترى أمام كل منهم إما شراب أو طعام .

صعدوا للطابق الثاني، فوجدوا (نور) تقف بجانب غرفة ما ترقب بتمعن ما يحدث، وما يحدث أن شخصًا تشي ملامحه باختلاف جنسيته، يقف أمام آخر يجلس على كرسي دون مقاومة وبدأ يرتلُ كما كانت تُرتل (نور) في طقوس الاستحواذ .

قالت (ملك) لهم بصوت خفيض:

- -هذا الجالس (أيمن) والآخر أحد المتدربين معنا- .

- -يجب أن نفعل شيئًا قبل أن يستحوذ عليه- .
أخرج (مُراد) مُسدسه، وقال:
- -أعرف ماذا سأفعل- .
احتمى بالسلم وجداره المُطل على الطابق الثاني، وصوب مُسدسه نحو غراب يقفُ قُرب الغرفة، ضربه فأصابه في جناحه، فصرخ الشخص الواقف بشدة ووقف ترتيله تحت صدمة الآلام المُتدفقة بغتة .
نظرت لهم (نور) بغضب شديد، رأت (ملك) فزاد الغضب اعتمارًا، صرخت صرخة قوية ثم تحولت إلى كتلة سوداء ووثبت مِن نافذة الغرفة للخارج وتبعها الآخر بألمه .
هرعوا يطمئنوا على (أيمن)، فوجدوه مُخدر هو الآخر، لكنه يهزي ببعض الكلمات، سريعًا أحضروا عطر ينتزعه مِن وطأة الغياب وسرعان ما أفاق تلمس الأصوات بأذنه فلم يعرف إلا صوت (ملك)، فسألها عما يحدث، فقالت له:
- -الأمر يطول شرحه، لكن يجب أن تسمعه- .
قصوا عليه كُل شيء يعلموه، لكنه لم يستجب معهم، أنكر كل ذلك أن يكون على (نور)، حاولوا مرة واثنين وثلاث، لكن قلب المُحب لا يعرف إلا العمى .
قالت لهم (ملك) بعدما ابتعدت بهم عن مسمع (أيمن):
- -سأحاول أن أقنعه أنا، أعرف هذا الدار جيدًا وبعض من فيه، بإمكاني المبيت هنا في إحدى الغرف الفارغة، أنتم فقط اذهبوا وحالوا منع ما سيحدث- .
قال لها (مُراد):
- -وما فائدته ؟! إنه لم يستحوذ عليه وأنقذناه- .

- -لأنه الوحيد القادر على تغيير (نور) هو الوحيد القادر على التأثير عليها وإرجاعها عما هي فيه- .

وافقوا وذهبوا بسيارتهم، وما تزال الرسالة وتلك الآلة تقبع في عقولهم بلا تفسير .

سألهم (وائل):

- -في رأيكم، أي الأماكن ينون فيها جلب أباجير واستدعائه؟!-

قال (عامر) بلا تفكير:

- -الأهرامات- .

- -ولِمَ؟!-

- -لأنه أكثر الأماكن في مصر جذبًا للعقول وتشتهر بها، أتعتقد أنهم لو استدعوه في مدينة نصر أو المعادي سيكون لذلك أهمية مثل الأهرامات !!-

- -لحظة اسمعوا ذلك- .

قالها (مُراد) فتبينوا مسمع صوت نبش ما، اتبعوا الصوت حتى وجدوا تلك الآلة العجيبة تكتب كلمات ما، لا إنها ترسم .

ترسم كتلة سوداء عيونها قاتمة تُحيط بسيارة ما، سيارة نافذتها الأمامية مُهشمة .

نظروا لبعضهم باستغراب، فوجئوا بكثير مِن العيون الحمراء الطائرة والمحُلقة نحوهم، صدمتهم هذه الخيوط الهلامية السوداء حتى انسلت في السيارة، ارتفعت بالسيارة وغشت عيونهم فيها .

وصلوا سريعًا إلى ذلك المخزن الذي حُبس فيه (وائل) من قبل، أردوا السيارة من ارتفاع بسيط فسقطت ناثرة حولها الغبار .

سرعان ما أحاطتهم الخيوط السوداء، وشعروا بأنهم يجذبونهم مِن السيارة

للداخل، ران التخبط بين عتمات صمت الحديث وضجيج الخيوط .
وجد (وائل) و (عامر) نفسيهما داخل غرفة ما مُوصدة عليهما تطل بنافذة مُستطيلة على وجوه الكثير يعتليها عيون حمراء متوهجة، تتقدمهم (نور)، يلبسون ملابس زرقاء اللون مُوحدة القطع، بها مسامات واضحة بعض الشيء، تأخذ شكل الجسم الذي تحيطه، وتتماوج مع أي حركة منهم، قالت (نور) وهي تنظر لهم مِن وارء النافذة:
- -لم أكُن أحب أن يرى (أيمن) فيّ هذا الوجه، ولولا اكتمال عددنا لأستحوذت عليكم، لذلك سأكتفي بصاحبكم- .
وأشارت بابتسامة ساخر لـ (مُراد) المُسجى على كتف أحدهم، خرجوا جميعًا متحولين لتلك الخيوط السوداء وحلقوا بغربانهم بعيدًا .
جلسا مُحبطي التفكير، قال (وائل) بعدما جلس على الأرض بوجه واجم:
- -لقد انتهى كُل شيء- .
فعنفه (عامر) قائلًا:
- -قاوم، لا تلمس اليأس بلسانكَ- .
سمعا صوت نبش من جديد، تبينا الآلة التي معهم، ترسمُ مِن جديد، لكن ما رسمت نال مِن خوفهما .
فرسمت كوكب الأرض كأن أحد الأقمار ترصده من زاوية خارجية، وفي خلفيته ضوء الشمس، والأرضُ يحيطها الظلام عن بكرة أبيها .

(١٣)

في مهد السماء نُصبت الشمس بخيوطها المُسدلة، تُشرق الأرض بنورها، الذي ما عاد له مأمن بين هذه الأحداث .

صاح العسكري في متسلقي مهد الهرم الأكبر يأمرهم بالنزول . . أكلموا التسلق وسط ترقُّب السياح الزائرين لما سيأول إليه الأمر، زاد صياحه دون رد يلطف ثورته المعتمرة به .

التفت يهتف في قياداته، فلاقاه أحد جنود أباجير بضربة قوية أسقطته أرضًا بجانب سلاحه الميري المُتدلي منه .

ملابس المُتسلقين لا توحي إلا بالقتامة ووحشة الظلام، ظلوا يتسلقوا حتى بلغوا ذروة الهرم، وقفت (نور) على قمته، وعلى يمينها بدرجات الهرم أربعة عشر جندي وعلى يسارها خمسة عشر، ليكون مجموعهم ثلاثين جندي .

سرعان ما جاء مُراسلي القنوات الفضائية كُل مِنهم يهوي بتوقعه عما يحدث مِن رأسه دون دليل .

لكن (نور) ومَن معها لا يأبهون بهم، فبدأوا يرفعوا أيديهم بفرج محدود، وشرعوا يرددون:

- يا سيّد الظلام، قد اكتملت ذريتك وعادوا إلى الأرض، يا سيّد الظلام، قد لُم الشمل وما ينقص إلا عودتك، يا سيّد الموبقات والنعم، يا سيدنا العظيم بحضرة قوتك نلوذ بك الخروج-

توارت الشمس وراء غيمة ثقيلة مُحملة بالصواعق والبوارق، غيمة حُبلى أتمت شهورها التسع فأنجبت أمطارًا غزيرة تصرخ بقطرات متصادمة مع

الأرض، وأسفل الهرم تجمعت قوات عسكرية وزاد المراسلون عددًا .
عمّ الصمت في علوهم وانحنوا نصف انحناء على سيقانهم مُطرقي رؤوسهم للأسفل، والغربان تنعق باستمرار .
فجأة اهتزت رؤوسهم بعنف شديد، ارتجت أوراق أجسادهم كشجرة في مهب الريح، ارتفعت رؤوسهم عن جذورها كأن العدم تلبس جرّاح ماهر وقطع رؤسهم وارتقى بها للأعلى، ثلاثون رأس صاغرة الملامح، تعرج وتتجمع بجانب بعضها البعض، بدأت تتناسج كخيوط ثوب جديد، تتلاحم كألوان لوحة تكتمل مشاهدها، انسلخت الجلود عن العظام فبقيت جماجم يحيطها السواد، يُحاك منها ما يشبه جسدًا لبشري ضخم الجثة عظيم الهيئة، تجمعت على هذا النحو حتى امتزجت ببعضها ويغزي بعض فوارغها حراس الظلام، جسد كامل مكون من الجماجم، تُشكل اليدين والساعدين والقدمين والكعبين والصدر والظهر والوجه، بدأت كُل الجماجم الكامنة فيه تتلو وتردد مرارًا وتكرارًا بصوت جهوري
- السجن قد دُمرّ، السجن قد دُمرّ، سيّد الظلام عاد، سيّد الظلام يحكم- .
انفجر هذا الجسد وتوزعت الجماجم على أجسادها .
في بقعة دائرية كبيرة أمام الأهرام وسط الرمال والأقدام المُتزاحمة لمشاهدة ما يحدث، تنخفض الرمال وتُبتلع الأمطار، يسقط البعض فيهرب الآخرون هلعًا مما يحدث تحت أقدامهم، يخرج مِن الدائرة دخان أسود عتم الهيئة .
هوت الأرض بغتة بعدة أمتار فصرخ المُحيطين بها، فتحددت الدائرة أكثر وطفقت بظهور أوضح وتتبين فيها حوافها وهوامشها ومركزها، هوت بقوة شديدة لقاع بلا قرار وارتقى مكانه دخان قاتم عن سابقه، غشى ما يعتمر بفجوة الدائرة حديثة التكويّن .

فجأة ارتفع غراب ضخم الجسد كعدّاء يركد في مارثون السماء، ينعق بقوة كبوق يُمهد للحرب، يُحلق ويخفق بجناحيه حول حدود الدائرة الوهمية التي يعرفها جيدًا، ارتجت الأرض بقوة، وسكنت، عاد الارتجاج مرة أخرى حتى بلغ مِن الأرض مبلغًا ومِن قلوب الناس وصرخاتهم عتيًا .

بزغ مِن الأرض قباب مُدببة عالية ترتفع وترتقي كُل لحظة، ينقشع الدخان الأسود فيظهر جليّا معالم الصاعد مِن القصر الذي تباينت ملامح صفحته الناصعة والثريّة، شرفاته الكبيرة المُطلة على قلوب فزعة ترقعت بالخوف، بابه عظيم نُحت عليه بدقة عين غراب .

رسى القصر في مرسى الرمال التي اسودت، والصباح الذي أصبح – بفضل الغيمة الثقيلة – كسواد ليل الصحراء البهيم، دق باب القصر بقوة كناقوس خطر مُحدق بالجميع، ثم تبعته أخريات مِن الدقات التي انهالت على سامعيها بمطرقة الوجل وعلى جنود أباجير بوهج الانتصار .

فُتح باب القصر فظهر مِن وارءه شخص ضخم الجثة، مُزين الملابس يلهث مِن فرط الانتشاء وترف الابتهاج وبجانب خصره يقبع سيف في حافظته .

فجأة صرخ بقوةٍ ورفع رأسه وأطلق مِن عينيه جيوش مِن الظلمات، تركب خيوط العتمة وتنتشر في العالم أجمع، أحاط الظلام بمدن العالم .

فتفاجأ الآكل - حد التخمة - في مطاعم الهامبورجر في أمريكا بأنه لا يرى ما يأكله، وأفسد الظلام رسمة فنان في لندن، وجثم على لحظة تقبيل عاشقين تحت برج إيفيل بباريس، وانقلبت السيارات في سباق بدبي، و بسمل بسم الله مَن في القدسِ لمرأى الظلام المُحيط، وهوت طائرة بركابها على بيت مزارعين في المكسيك، وغرقت سفينة تُقل المهاجرين في البحر المتوسط كانت تشقه لإيطاليا .

آلاف الأهوال حدثت بغتة دون سابق إنذار أو سابقة عذاب .
غطت جيوشه الجرارة المحيطات والبحار والبلدان والقارات وضوء الشمس والقمر النافذ لها، لو رأيت معي الكوكب مِن الفضاء لما ميّزته عن غيره مِن العدم والفراغ .
البشر حيارى ثكالى لا يملكون تفسيرًا لما حدث ولا توقع عما سيحدث، كوكب الأرض قد ابتلع في أمواج الظلام حد أعماقه .
انتهى أباجير من صرخته العظيمة، عاد الضوء وبقيت الحيرة، توجه الجميع لشاشات التلفاز، فوجدوا كُل القنوات يتزعمها قصر كبير مِن الأعلى، مهما يُبحر الناس في القنوات يجدوا نفس المشهد .
وثبت ذرية أباجير أجمع حول قصره مكونين ضباب أسود يُحيط بالقصر على هيئة مربع حوله من مسافة تعطي لكل حدب لقصره مساحة ضخمة واختفى أباجير وقصره عن أعين الناس، كلما ارتفع ضبابهم كُلما ظهر ووضح أثر بنيان جدار رمادي صلب كأمهر عمال يشيدون أقوى الأسوار، ظلوا مُتلاحمين في ضبابهم حتى ارتفع تمامًا وترك ذلك السور العظيم بزواياه الأربعة وأبراج المراقبة الثمانية .
هرولت مِن أسفل الأرض مرايا نصبت نفسها في الهواء أمام أباجير الذي صعد لأعلى قمم قصره، حاوطته المرايا في دائرة ينظر منها لكل بقعة، شاملة جامعة وجه الأرض بكافة ملامحه .
شاهد العالم وجه أباجير من أعلى، فتربصوا للوجه اللاهث المنتشي، نظر أباجير في عيني الغراب الذي في مواجهته والذي يقترب منه رويدًا رويدًا حتى صار أمام وجهه لا مفر منه، ران الصمت فلم يُعد للشجاعة موطئ قدم أمام ذلك الوجه، وآن موعد حديث أباجير للبشر أجمعين .

(١٤)

- يا معشر البشر وموطن الشر في قلوبكم صلب، يا أضعف الخلق وأخطر الخلائق على الخلق، يا أهل العراك والشقاق ومعدن النفاق ومفاسد الأخلاق، أفسدتم ما أفسدتم في أنفسكم وفي الأرض التي قُصدتم إياها إعمرًا .

وهُبتُ القوة وحملت رسالة عظيمة، أتبوأ بها خزائن الأرض وما فيها مِن أنفس، جئت إليكم حاملًا سيفين: سيف الرحمة، وسيف العذاب، أما سيف الرحمة فقد سقط مني في الطريق وأضعته، وسيف العذاب فها هو (وأشهر سيفه) يُتلى عليكم ظلامًا وخوفًا وذعرًا، فمن سلّم إليّ نفسه وماله وعرضه ارتقى في العليين وله الخير والنعم، أما مَن سولت له نفسه المقاومة فإني أرى فيهم أبصارًا طالحة وأعناق متطاولة ورؤوس أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، لأنكم أوضعتم في الفتن ومراقد الضلال وسجايا الشهوات،

فاتبعوني تجدوا لدي مخرجًا للحياة، وابتعدوا تجدوا لدي مخرجًا مِن الحياة، فسلموا راياتكم على كُل سارية إليّ، نتقدم بها لأبواب العهد الجديد بيني وبينكم، عهد فيه الكل سواسية، والخير يطمح في البلاد جاريَ، والعقاب يهوى على المجرمين مُدمرَ، فإني لا أوعد إلا أوفيت ولا أهمّ إلا أمضيت ولا أضع البدن أسفلي إلا وقد جعلت بينه وبين روحه مفرقا .

وإني لأعطي لكل البلاد برؤساءها وزعماءها وملوكها مهلة الليل للشمس في الصباح، فما كان ما أريد انطويتم تحت رايتي وغرقتم في الخير، وإن كان في مسعى غير إرادتي فالموبقات حتفكم وتحملوا ما أنسجه لكم غدًا .

أنا أباجير ابن الملوك وأعظمهم -

(١٥)

تبلور الموقف العالمي سريعًا . .
السخرية . . الرفض . . الاتهام بالجنون والإرهاب .
باختلاف درجات الثلاث بين الدول، صاح الإعلام بجنون ذلك الرجل، فتموج فكر الشعوب على هذا النحو، وآراء انجذبت نحو التطرف انجاذبًا، يقول مذيع على قناة FOX NEWS الأمريكية:
- موجة مِن الإرهاب العربي الجديد تُطل علينا (وبجانبه صورة أباجير أعلى قصره)، يدعي مجنون أنه شخصية تاريخية قديمة تدعى أباجير، سيطر على بث جميع القنوات بشكلٍ ما ويهدد العالم إما أن يكون معه قبل الصباح أو سيذيقنا الأهوال، أعتقد أن هذا المعتوه بسيفه لم يرَ طائراتنا وبوارجنا وقاذفاتنا وصواريخنا وقواتنا المهولة، التي لو أعطت بيانًا واحدًا ضده لأصبح صريعًا في الحال، أشفق عليه مما سيلاقيه مِن الأمة الأمريكية وحدها -
صمت لحظة يستمع فيها لخبر يتلقاه وقال:
- مازال العلماء يبحثون أسباب ذلك الظلام الذي ساد الأرض مدة ثوانٍ معدودة، وليس بالضروري أن نتبع مبدأ السببية في نسب ذلك الظلام لذلك المعتوه العربي، فنحن والعلم نرتقي عن هؤلاء المتخلفين -
هدأ نبرة صوته وقال:
- سنفتح المجال لاتصالاتكم ومشاركاتكم على مواقع التواصل الاجتماعي .
. معنا اتصال الآن، سيدي ما رأيك فيما حدث اليوم؟ -
قال المتصل ونبرته يصهرها غضبًا:

- -سئمنا مِن العرب ومِن إسلامهم وتخلفهم، ألا يكفيهم أننا خلصناهم وخلصنا العالم أجمع مِن خطر الإرهاب الذي نبع مِن بلادهم، اليوم يعودون علينا بإرهابٍ جديد، يجب القضاء على أولئك الحفنة مِن المتخلفين مِن على وجه الأرض ليسود السلام، فلا سلام معهم- .

واستمر برنامجه على هذا الاتجاه المتطرف، بينما الإعلام في مصر – ممكث أباجير – فقد تبع الإعلام العالمي فيقول ذلك المذيع واصفًا ما حدث مُنذ قليل:

- مجموعة مِن الإرهابيين سيطروا على محيط الأهرامات، مجموعة مِن المجانين يتزعمهم شخص إرهابي هارب حديثًا مِن سجنه بمساعد أعوانه، وسينهي الأمر رجال الجيش والشرطة الذين يعدوا العدة له وكل من معه لينهوا هذا الأمر الذي أشاع في العالم بلبلةً، وهم الآن مُحاصرون منهم في منطقة الأهرام في الجيزة -

صمت لوهلة وأتبع:

- كما أن ذلك حدث من قبل في بلدٍ شقيق، أتذكرون حادثة الحرم المكي التي حدثت مُنذ عقود، مثلما حدث تمامًا، أدعى البعث والقيادة والزعامة على العالم وحوله بعض المخبولين أمثاله، وانتهى الأمر سريعًا كما نتوقع أن يحدث مع هذا أيضًا- .

أردف بمرح:

- والحياة في مصر ماتزال طبيعية، لا طريق سُد ولا وظيفة توقفت ولا جنود هزموا، كُل شيء تحت سيطرتنا، كما لدينا رجال الشعب المصري الذين يبتلعون الحصى ابتلاعًا (أتبعها بضحكة) يكفيهم فقط رجال الصعيد ويصبحوا في خبر كان، سنظل معكم طوال اليوم ولا أعتقد أن الأمر سيطول

عن ذلك الوقت -
انقمست الشاشة بين المذيع ومشهد استعداد الجنود وتواجدهم بالقرب من منطقة الأهرامات، بزاوية تبرز الهرم دون قصر أباجير .

(١٦)

دفعت (نور) (مُراد) المكبل داخل محبس (عامر) و (وائل) في المخزن، سقط على الأرض فهرعا للاطمئنان عليه، خرجت وأغلقت الباب وراءها، وقفت خارجًا ونافذة بينهم مجتمع تلاقيهم، أمسكت بيدها غرابًا من قدميه ، نظر (مُراد) – من مسقطه – للغراب بعيون يملئها الرعب .

- -ما عاد لصاحبكم فائدة عندي- .

ذبحت (نور) الغراب فارتج (مُراد) بقوة وراح يصرخ بشدة، فحالت قوة صرخاته بين الصوت وحنجرته، حتى خفتت حركته وارتجافه تمامًا وسط أنفاسه هادئة، أتبعت (نور) بنظرة ساخرة:

- -ولا أنتما- .

انحنت قليلًا فتوارت خلف الحائط، وسمعا صوت صرير معدن، فعادت تنصب قامتها وقالت وما يزال الغراب في يدها ينزف:

- -إلى اللقاء- .

ورحلت من المخزن كله .

نظرا لبعضهما وإلى مُراد وأنينه الذي يستفيق به، أحسوا بشيء رطب يلامس أقدامهما، فوجدوا المياه تنسل مِن فتحات مترامية في الغرفة، فزع عقلاهما واضطربت أفعالهما .

راح (عامر) يجول في الغرفة يبحث عن أي شيء يسد به رمق مياه الأغوار، وأسند (وائل) (مُراد) الذي وضعت المياه جبهتها على جبهته، طفق (مُراد)

يستعيد وعيه، جال ببصره المشوش في الغرفة، تبين فتحة تهوية في أعلاها، أشار عليها بيد ثقيل مرفعها، فانتبه (عامر) له ولما يشير .
فأزاح الغطاء عنها وكشفت عن ممر صغير، تشبث (عامر) بحاوفه وحاول الصعود له، فما قبلته مساحته وأبت استقباله، فلن تتسع أبدًا لشخص بالغ ولو كان نحيلًا .
تشبث بها مرة أخرى ناظرًا لما تحوي علّها تحوي ما يفيد، تحسس الأصوات، كُل شيء ملمسه هادئ، فجأة سمع صوت ضجيج ضئيل الصوت لا يعبّر عما يصدره، تعالى الصوت، فتبينه صوت دحرجة شيء ما تردده جدران الممر الضيّقة .
أحس بقدمه وهي تصلها الماء على بُعد نصف متر عن الأرض، فصرخ فيه (وائل) أن يجد حلًا بدلًا من تشبثه الطويل بلا جدوى .
تعاظم الصوت القادم من الممر، حد العدو ناحيته بسرعة، فرأى عيون كبيرة متوهجة يلتمع أمامها شيء معدني مُتدحرج أمامه، فصدم وجهه جبهة ذلك المعدن فوقع للخلف وسقط في المياه .
خفتت الأصوات تحت هدير المياه، فقام نافضًا عن وجهه المياه، فرأى طائر البومة يقف على مهد الفتحة يحدج بهم، يميل برأسه وهو يتمعنهم، التف بجسده داخل الممر واختفى بين طياته .
نظروا لبعضهم بشرود بما فيهم (مُراد) الذي أعاد نصب طوله جيدًا، نزل (وائل) تحت المياه متزايدة العلو، ظل تحت دركات المياه لثوانٍ طالت عليهم وسط غدير المياه المتدفق .
خرج وائل وتسبقه أنفاسه، وقد رفع في يده كرة معدنية ما فقال لـ (عامر):
- -هذه التي أسقطتك- .

اقترب بها منهما، وراحوا يتلمسونها لعلهم يتحسسون شيء ذا قيمة، فلم يجدوا .
أمسكها (وائل) وتقدم خطوات تحت الضوء الذي يتوسط الغرفة لعله يبصر شيء، فلم يجد، حرك يديه بيأس، فلم تستجب الكرة معه في مسير يده .
اندهشوا جميعًا، الكرة أبت الحراك واتخذت من هذا الهواء موطنًا، سحب يده من أسفلها فلم تسقط، ظلوا متمعنين في موقفها الغريب .
لمح مُراد المرآة التي أمام الكرة، فوجدها يتذبذب انعكاسهم عليهما وتتماوج واجهتها في دوائر، فنبههما لذلك المشهد فتنبها .
هدأ ذلك التذبذب بين نظراتهم المُطرقة عليها، وعكس مشهد آخر لمكان صخري الجدران، تتجول ظلال النيران على وهج الشُعل المُثبتة على جدرانه.
تقدم (عامر) تجاه المرآة، مد يده بحذر وهو ينوي ملامستها، فلم تلامسه، بل جذبت يديه لتتعمق داخلها وداخل ذلك المشهد .
نظر لهم بخوف تمازجه الحيرة والدهشة، فلبسا نفس ثوب الملامح، دلف (عامر) بقدمه داخل المرآة فاستجابت له، وراح يتقدم بداخلها بكل جسده بهدوء، حتى انتقل لذلك المكان التي كشفت عنه، استدار ونظر للمرآة، فوجد (مُراد) و (وائل) مُكتفي الحركة والمياه تكاد تصل لصدريهما .
أشار لهما بالمجيء، ففعلا وسط ذلك الخوف المُتسائل بدهشة عما يحدث .
وجدوا كرة معدنية مرتفعة العلو مثل التي كانت معهم على الضفة الأولى، فأنزلها مُراد عن مكانها فاستجابت له، حتى أمسكها بين ثيابه واختفت المشاهد المتقلبة على المرآة وعاد انعكاسها طبيعًا كما يجب أن يكون .
وجدوا أنفسهم وسط بين طريقين . .
الطريق الأول وهو على يمينهم ويعتمر به ممر يضيق كلما أبحرت فيه

بالنظر، والآخر على يسارهم يكشف عن مكان فسيح لا يدركون ما فيه .
قرروا المسير مع بعضهم ناحية الطريق الضيق، فوصلوا نهايته بعد قليلة من الزمن، فوجدوا باب مُهترئ القوة عتيق الهيئة، حاولوا فتحه فقاومهم، ولكن لم تستمر مقاومته كثيرًا فنالوا منه وتجاوزوه بالنظر فوجدوا درجات سُلم قليلة العدد .
ارتقوها فرأوا أن قمتها تكشف عن صحراء مظلمة يقوض أنحائها الضباب، والسماء تسقيها بالمطر، أيقنوا ألا سبيل يستطيعون سلكه الآن وسط هذه الظروف ومع انعدام الوسيلة .
نزلوا من جديد وراحوا يجولون في الطريق الآخر، الطريق الفسيح، توغلوا فيه حتى وصلوا لثقب غير عميق في الأرض، يتراص فيها بتساوٍ ثلاثة مُستطيلات ظاهرة تُشير أنها مراقد قديمة، سأل وائل بين بحر تساؤلاتهم التي أغرقت عقولهم:
- -مقابر من هذه ؟!-
تعالى صوت صرير باب القبو وخطوات على درجات السلم بالخارج أضرمت بقلوبهم الفزع، نظروا لبعضهم آملين بعض الطمأنينة في النظرات، ساد الموقف التوجس والحيرة، أحاط بهم القلق وضاق عليهم خناق الانتظار .
دُفع الباب فلاح وراءه مُلثمون شاهرين أسلحتهم الآلية ويعتمر مقدمتها ضوء، انتشروا حولهم حتى أحاطوهم وأجثموهم أرضًا، فتشوا ونبشوا ملابسهم وما فيها حتى جردوهم مِن أشيائهم .
راحوا يجولون في المكان وبعد فترة وجيزة صاح كُل منهم بكلمة -CLEAR- كأنما تتقازفها ألسنتهم .
دلف بعدها رجل تتهادى في المسير قدماه بثقة، يرتدي بدلة مُتأنقة بجسده الرياضي، طفق يتقدم نحو مجثمهم وسط تربصهم .

(١٧)

- -جاسوسنا أصبح معهم الآن- .
قالتها (نور) وهي تنحني نصف انحناءة لـ أباجير، الذي يقف في شرفته وعلى كتفه غرابه الضخم يراقبان الدبابات والطائرات والجنود الذين يتربصون على مبعدة من سور الحماية الذي يُحيط بالقصر .
على السور تراص أبناء أباجير، بعضهم على أبراج المراقبة الثمانية والبعض الآخر على البوابة الكبيرة .
استدار أباجير مُبتسمًا لها، واقترب منها ورفع برفق وجهها لتواجه جسده المفتول والضخم، وقال:
- -تذكرينني بابنتي الأولى، كانت أحب أبنائي لي مثلك الآن- .
ابتسمت في حياء، تبدلت مشاعرها من مشاعر تجاه القائد المُنتظر إلى أب يسقيها حنانًا افتقدته .
سار أباجير لكرسيه المُشيد الكبير في بهو حجرته، فتقربت منه (نور) قال أباجير وهو يتفحص وجهها:
- -في جوفكِ حديث، أخبريني به- .
ترددت (نور) بين كلماتها لكنها قالت:
- -رد فعل العالم كان صادمًا لي، يتعاملون مع الأمر بسخرية، ألا يكفيهم حضورك المُعجز من رحم التاريخ ؟! ألا يكفيهم ظهورك من أسفل الأرضِ بقصرك الكبير العظيم ؟! والظلام الذي أشععته في العالم- .
وأردفت باستنكار:

- -إنهم لضالون- .
قال أباجير برفق:
- -لا عليكِ ابنتي- .
وأتبع:
- -فقد سبقني أُناس لا يقدرون بجناح بعوضة، فظنوا أن القادم لا يقدر على شيء، ولو نظرتي بمنظور نفسي لتبينتي أن ذلك يصب في مصلحتي، فمن يظنونه يهزي سيذقهم الأهوال ويرضخون له- .
اطمأنت (نور) بداخلها وصمتت لوهلة متعمدَة، فسألها أباجير:
- -ما رسالته ؟!-
فقالت نور وملامح الحيرة تغزو وجهها:
- -يقول جاسوسنا أن جاءتهم بومة ومعها كرة الثقب المعدنية- .
- -بوم !!-
قالها أباجير باضطراب أذهب عنه هيبته، فنهض وهو يمسك بمقابض كرسيه القوية، ران الصمت قليلًا وأتبع:
- -ابقي على اتصال معه إن حدث أي جديد أخبريني به، وفي أقرب فرصة سانحة اجلبي لي تلك الآلة الراسمة- .
أومأت برأسها، وهم أباجير يجول في قصره الفسيح وفي ذيل مسيره (نور)، سألته وقد ألمت بها الأسئلة:
- -متى القادم يا أبي ؟!-
قال وهو مُكمِل السير:
- -في الصباح كما وعدتهم- .
- -وما هو ؟!-

أدار وجهه لها وقال:
- -سأدعكِ تشاهدين مع بقية العالم- .
فجأة اندلع صوت انفجار كبير يهز أركان القصر وفرائص من فيه .

(١٨)

انطلقت القذفية الأولى مُفاجئة جميع مَن في القصر وسوره .
مظلة آمان مِن الطائرات الثلاث المُتقدمة على قصر أباجير للجنود الذين بدأوا الهجوم على بوابة السور وآخرون تمركزوا فوق السيارات والدبابات يطلقون الرصاص على من يعتلون السور .
ضُربت القذيفة الثانية على البرج الأيمن مِن أبراج المراقبة الأمامية، فسقط مَن فيها على الأرض مُصابين، خرج أباجير لشرفته يتمعن تقدم القوات العسكرية تجاهه، وقف على حافة سور شرفته وهمس لنفسه:
- -كم توحشتُ المعارك!!-
وثب مِن أعلاها وتحول لكتلة هلامية سوداء مُنطلقًا إلى الطائرة اليُسرى، فضرب بسيفه مروحيتها، فاضطربت خطاها في الهواء وأطلقت قذيفة قبل وقوعها .
أبطأ أباجير وقته، ونظر للقذيفة وهي تحبو أمامه بهدوء، أدركها أباجير وأمسكها بين يديه، ووجه قبلتها نحو الطائرة الوسطى، عادت نسبية الزمن متساوية، فعدت القذيفة تجاه الطائرة الوسطى ودمرتها شر تدمير وسط النيران واللهب .
بدأت الدبابات تضرب قذائفها عليه، فتلافها وهو يراها تمر بجانبه ببطئ، تقدمت فرقة من الجنود تتسلق جدران السور، أبطأ أباجير الزمن لحد كبير حوّل الجنود المُتسارعين إلى حيوان الكسلان، ولهيب الطلقات إلى ضوء يزداد كِسرة من ومضة، ومارثون مروحة الطائرة جعلها خراب .

نظر أباجير لجنوده أو أبنائه، وقال لهم:
- -أريد الانتصار يأتي في لحظة- .
عرفوا مُراده، فراحوا يُكيلون اللكمات والضربات للجنود، ودمروا الدبابات والسيارات، وقفز عصام بيده القوية يهتك بها صُلب حديد الطائرة الأخيرة على اليمين .
وثب أباجير مرة أخرى لسور شرفته، أشار لغراب ما أن يأتيه فصعد فوق رأس أباجير الذي يواجه تلك المعركة بطيئة الحركة، سريعة الهزيمة بسرعة أبناء أباجير .
بعد لحظات، انتهى أبناء أباجير مِن عملهم وهم يلهثون مِن فرط التعب، رمقهم أباجير وتمعن في ساحة الحرب المُنشأة حديثًا والمُنتهية قريبًا، تأكد أن كُل شيء يسير كما آراد ولو كانت بطيئة الإدراك .
حك إصبعيه ببعضهما فأصدر احتكاكهما صوتًا، وعاد الزمن لطبيعته، فدُمرت الطائرة الأخيرة وتعالى لهيبها، وتبعتها في الإنفجار السيارات والدبابات، ووقع الجنود أرضًا وهم يشعرون بآلامٍ لم يروا مُصدريه إلا أطيافًا .
سُجل المشهد في عيون الغراب، أطيافٌ سوداء سادت أرجاء الهواء للحظات سريعة الركض، فأصبحت الهزيمة ساحقة، قال أباجير لأبنائه بلهجة آمرة قوية هيبتها في المسمع:
- -قيدوا الجنود وسوقوهم نحو الأسر- .
هبط الغراب عن رأس أباجير ورجع للخلف في الهواء حتى أتى بالمشهد وأباجير يستوطنه بظهره العريض، فقال وهو مايزال يُولي ظهره:
- -المعركة الأولى كانت يسيرة، فهلا أتيتم بأقواها ؟!-
وأتبع بنبرة ساخرة تُنشئ الوجل:
- -ملتقانا الصباح- .

(١٩)

- -أعرف أن الكهنة يتواصلون معكم بشكلٍ ما، سنساعدكم ونحميكم في مقابل تسليم لنا ما ستصلون إليه- .

سأله مِن ممكثه (مُراد):

- -مَن أنت ؟!-

- -ويليم نيكسون مِن المخابرات الأمريكية- .

- -وكيف علمتم بأمرنا ؟!-

سأله (عامر) فأجاب (ويليم):

- -أتغفل أننا أكبر دولة في العالم، وشيء كهذا يحدث يجب أن تصلنا معلومات عنه أو بعضه- .

فسأله (وائل):

- -وما أدرانا أنكم لستم من رجال أباجير ؟!-

فأجاب (ويليم) بهدوء:

- -هو ليس في حاجة إليكم مِن الأساس، ولو كان هكذا لما حاولت (نور) أن تقتلكم غرقًا- .

- -وما الذي يجبرنا على مساعدتك ؟!-

- -لأنكم تحتاجون لنا وأنتم ضعاف للغاية في مواجهتهم- .

- -وأنتم أيضًا ضعاف للغاية بدوننا وتحتاجوننا- .

- -إذًا فهذا مصلحة لكلينا- .

سأله (عامر):

- -وما سر تلك الكرة والمرآة ؟!-
- -تكنولوجيا توصلنا لها حديثًا، يمكننا التنقل عن طريق مرآتين وكرة تُنشأ بينهما ثقب يطوي المسافة المُرادة وها قد أتيتم هُنا بالفعل- .
- -إن وافقنا ما القادم ؟!-

*****

وقف أباجير أمام إحدى مراياه، تعكسُ ساحة صحراوية ابتل رملها وسكن صوتها، يقبع على مقربة منها طريق مُمهد تسكن فيها سيارات عديدة، تقدمت زاوية المرآة لتقترب من ثغرة أرضية مُربعة الحجم، يعتمر بقلبها درجات سُلم ويشع مِن آخره ظلال مُنعكسة عليه تتراقص بين اللهب .

*****

صوت ضحكات تعلو من درجات القبو، انحدرت إليهم حتى وصل مُصدرها لمرمى بصرهم، غراب يضحك بصوتٍ بشري مهيب النبرة، وجّه الجنود أسلحتهم إليه وهو مايزال يتقدم نحوهم، حتى اقترب منهم بمسافة يسمعون فيها حديثه:
- أيها البائسون، كم شعرت بالشفقة عليكم مما ستلاقونه، صدقوني لن يمنعني أحد مِن طوي حكم العالم كُله في يدي، الأمر مُحتم وأمر إلهي لا رجعة فيه، أمامكم طريقين، إما الانضمام كما سيفعل العالم قريبًا وإما فسيصافحكم الموتُ قريبًا، وتذكروا أن عيني دائمًا تُراقبكم، فأنتم مُراقبون- .
وأعادها على مسامعهم مرارًا وتكرارًا .
- -مراقبون- .
ضرب أحد الجنود ذلك الغراب فهوى وخفت صوته، لكن الكلمة رُددت

من جديد .
- مُراقبون -، وجدوا غربًا آخرًا قد دلف لهم فضربه جندي آخر فكررت الكلمة لأكثر من مرة وبأكثر من صدى ومصدر .
دخل عليهم سرب مِن الغربان يتلون عليهم نفس الكلمة - مُراقبون - ظلوا يرددوها وسط الرصاص المُتطاير عليهم مِن كل حدب وصوب، ولكنهم لا يهابون ترديدها حتى تألم مسمع كُل الموجودين من تردد الكلمة التي تبث في أنفسهم الخوف وتوحي إليهم بالعجز .
بدأوا ينسلوا بينهم ويفرقوا تكتلهم بلكمات أجنحتهم، حتى أصبح المشهد في عيونهم يتقتطع بين سواد الغربان وضوء المشاعل، ارتجت الأرض بقوة فزاد الهلع في قلوبهم وبلغ عتيًّا، والرمال وبعض الحطام يُغشي عيونهم، وزادت زلزلة الأرض، فمَن استسلم سقط ومَن قاوم صمد .
صرخ أحدهم للعدو نحو السلم والصعود فتقدموا وهم يحتمون بأيديهم مِن الغربان والرمال، صعد (ويليم) أولًا وخلفه البقية والجنود في المؤخرة يقنصون ما تطال طلقاتهم مِن غربان .
الطقس قد اعتدل والضباب قد انقشع، وجّههم الجنود لركوب السيارات القابعة، فركبوا وانطلقوا بعيدًا، وقبلة الأحداث في عقولهم بلا خريطة .

(٢٠)

أطلقت الشمس سهمها على مهد السماء فخضبت مشرقها بدم مولدها، وطفقت تعدو نحو مغربها .

اطلعت الشمس على طريقها فرأته يبعد طويه في الوقت المُحدد، نالت مِن أشعتها الدهشة وتساءلت: لِمَ الأرض مُتغيرة هذا الصباح ؟!

فأجابها مُقدِم البرنامج الصباحي في إحدى القنوات الأجنبية قائلًا:

- -تغيُّر مُفاجئ في طبقة الأرض الخارجية، يقول العلماء أن القشرة الأرضية تباطأت بقدر خمسة عشر كيلو متر في الساعة عن سرعتها الطبيعية مما أنتج احتكاكًا قوي بين القشرة الأرضية والطبقات السُفلى للأرض، وأدى ذلك لحدوث اهتزازات أرضية ضعيفة ومتوسطة ومُدمرة بمختلف المناطق في العالم (عرض مشاهد بيوت مُهدمة وعمليات تنقيب تحدث وعربات إسعاف مُنتشرة)، وأحدث فيضانات في مُدن ساحلية جمة (عرض مشاهد غمر المياه لبيوت وتشبث أهلها بالنجاة)، كما حدث تكدُس مروري في جميع الأماكن بسبب توقف العمل في الموانئ والطرق البرية بل والخطوط الجوية نتيجة عدم التوافق الذي نشأ بين القشرة الأرضية بسرعتها الجديدة والغلاف الجوي، حالة مِن الاضطراب شملت الأرض تحت وطأة هذا الإبطاء غير المتوقع وغير المسبوق وأعداد الوفيات والمفقودين مُتسارعة ومتفاوتة عن إمكانية الحصر الدقيق، كما يتوقع العلماء أن تزيد ساعات اليوم لرقم غير مسبوق وهو ست وعشرون ساعة، نرجو مِن سيادتكم عدم مُغادرة منازلكم اليوم ولأيام قادمة وسنوافيكم بالمتغيرات الطارئة وندعو الله أن

يكون حادثًا عرضيًا على كوكبنا وعلى حضارتنا الإنسانية، ونرجو عدم نشر أي شائعات أو تخمينات دون دليل على ما حدث اليوم م . . . . . .
انقطع إمداد البث عن التقاط وجه المذيع، بل وعلى صفحات كُل الشاشات، ووُحدت على مشهد واحد، وجه أباجير وهو يقول:
- -أشعر بالشفقة عليكم مما هو قادم، لم تتمعنوا في رسالتي بالأمس فلقيتم هذا الأمر كبداية لوعدي عليكم، أيها البشر أنتم ضعاف للغاية، صنعتم حضارتكم المُدعاه على جبل مِن المُتفجرات، بأقل شعلة تنهار، أما حضارتي فقوية كالجبل الراسخ له أوتاد تمتد في الأرض لأمد الدهر، في ثلاثة أيام سأعلّمكم فيهما مدى ضعفكم، حتى تتيقنوا أن القوة معي، ومعي فقط، وأن القادم تحت رايتي لهو الخير والحق- .
انتهى حديثه بشعار أزرق اللون، قاتم الدرجة، دائري الشكل يتوسطه عين غراب، عاد البث لقنواتها، الوجوه واجمة، حاضرة غائبة، أوراقها ذابلة، ألسنتها مُلجمة، فالهروب لفاصل هو المفر حتى ترتيب الكلمات وبثها في العقول .

(٢١)

نسجت الآلة الكاتبة على ورقة من الأوراق شكل ملف مُربع الحجم كُتب في منتصفه بالإنجليزية -سري للغاية-

انتبه الجميع لما نُسج، فأخذهم التفكير نحو محطة الحيرة ولم يأتِ قطار ينقلهم من رصيفها لمحطات أخرى .

توقفت السيارات أمام مبنى كُتب عليه -السفارة الأمريكية-، دخلوا بمرافقة الجنود و (ويليم)، بعد الخوض في ممراتٍ قليلة وصلوا لغرفة ما، دلفوا بها فوجدوا (ملك) و (أيمن) يقبعان فيها .

تناقلت الدهشة بين عيونهم وتخبط (أيمن) في أسئلته عما يجري، لكن كان هُناك نظرة مُحتدمة وسط هذه النظرات، صاحت (ملك) وهي تشير إلى (ويليم):

- -هذا مُساعد القائد، هذا مُساعد أباجير- .

توراى (ويليم) من نظراتهم ثم قال:

- -إن الأمر مُعقد أنتم لا تفهمون- .

زاد صياح (ملك) واقترابها حتى كادت أن تنال من وجهه بصفعة، فاضطرب أكثر وزاد الموقف في أعيونهم ضبابًا، أمر (ويليم) جنوده بـغلق الباب عليهم، ففعلوا وفر هو بين طرقات السفارة .

ضربوا الباب بأيديهم دون أن يجيب الباب عليهم بالفتح أو يجيب عليهم الجنود بالخارج، سرعان ما هدأوا وبدأوا يجمعون شتات أنفسهم المَضطربة والوجلة، بعضهم جلس على الطاولة الموجودة بالغرفة وبعضهم جثم على

الأرض مُعتمدًا لجدرانها، فسأل (مُراد) (ملك):
- -كيف جئتي إلى هُنا ؟!-
فأجابت (ملك) وهي تلتقط أنفاسها:
- -عندما أقنعت (أيمن) بالانضمام إلينا، حاولت الاتصال بكم كثيرًا لكن دون إجابة، فجأة سمعت صوت غراب ينعق، فزعت لمسمعه، ولكن خفت الصوت ورأيت كرة معدنية على حافة شرفة الدار، أمسكت بها وفجأة توقفت أمام المرآة وعكست فيها هذه الغرفة، ولا أعرف كيف استطعت الدخول إليها، فأسندت (أيمن) في خطاه وأصبحنا هُنا، وقبل أن أفكر في أي شيء وجدتكم أمامي، ومعكم مُساعد أباجير، أكنتم من أتباع أباجير طوال هذه الفترة !!-
سارع (عامر) في الرد لدحر هذا الشك بادئ النمو:
- -نحن التقيناه في قبو ما في الصحراء، بالطريقة ذاتها التي جئتي بها إلى هنا . . كرة معدنية لا نعرف كنهها ومرآة ننفذ منها لمكان لا نعلمه- .
وأضاف (وائل):
- -كما قال لنا، أنه من المخابرات الأمريكية ووجودنا في السفارة خير دليل على ذلك- .
- -إنه مُساعد أباجير، استقطبنا ودربنا حتى نصير جنوده، أنا مُتيقنة مما أقول- .
- -ألا يُمكن أن تكون أمريكا وراء إطلاقه- .
قالها (أيمن) فانتبهوا له وسأله (مُراد):
- -ماذا تعني ؟!-
- -أعني أن المكان الذي تدربوا فيه وكيفية استقطاب الأشخاص والجنود

والأفلام والإمكانات الهائلة التي حكت عنها (ملك) تدل أن شخصًا ما يقبع وراءه ممولًا- .

دون مقدمات، دوى صوت مزلاق الباب يُفتح فدلف رجل يرتدي بدلة يحمل ملف كُتب عليه بالإنجيلزية -سري للغاية - وبعد فترة دلف (ويليم) إليهم وسرعان ما دوى في الأرجاء صوت إنذار .

*****

سار (ويليم) في ممر من ممرات السفارة قاصدًا تلك الحجرة التي تصوّر الغرفة التي هُم فيها، وفي طريقه قابلته دماء على الأرض تتشربُها، انحنى وتأكد مما رأى، فاتبع بنظره قطرات الدماء فوجدها تشير إلى غرفة في منتصف الممر ليست بعيدة عن قطرات الدماء الأولى .

فتح الباب، فوجد أحد المسؤولين لديه غارقًا في دمائه مِن جرح في عنقه، اعتمر به الغضب، فلاح له صورة قاتل يسير بين جدرانهم، هم يخبر البقية لكن جاءه خاطر فتوقف وركض سريعًا تجاه غرفة المراقبة، فوجد نفس ملامح الشخص المقتول تجلس أمامه في الغرفة، تكلم بجهاز أحد أفراد الأمن وأمر بإغلاق جميع الأبواب والمنافذ بالسفارة، وذهب لغرفتهم .

*****

- -ما جلبك هُنا يا (جون) ؟!-

قالها (ويليم) فارتبك الشخص الذي حدثه ونهض من مجلسه مضطربًا، فصاحت (ملك):

- -نحن الآن نعرف كُل شيء عنك- .

فابتسم (ويليم) وقال بهدوء:

- -لكنكم لا تعرفون أن مَن حدثكم هو مِن أبناء أباجير يمتاز عن غيره بالقدرة على تغيرّ الملامح-

دوى صوت إنذار بينهم، تلاشت ملامح (جون) وتبدلت لملامح أخرى مضطربة، دفع ذلك الوجه الجديد (ويليم) للأرض، حاول الهروب بسرعة فائقة تجاه النافذة فعاجله (ويليم) برصاصة أصابت قدمه واستقرت بها تشيع فيه الألم، دلف جنديان أمسكاه سريعًا وأجلساه على كرسيه وصفدوا قدميه ويداه مُكبلتان بسوارين مُثبتين على الطاولة، استفاق من ألمه أدرك الموقف، فحاول الفكاك من أصفاده بسرعة كبيرة محددة في مقبضه فأصبح للرائي كأنه يتحرك في الثانية عشرات الحركات .

فقال (عامر):

- -يُبطئ الوقت كي يهرب، لكن الأصفاد تقاومه- .

تقدم جندي وهو يحمل محقن، فحقنه بإبرته حتى توارت حركته تحت اجيتاح المُخدر له،

نظروا جميعًا لـ (ويليم) فعلم أن بعد اطلاعهم على الملف السريّ أصبح الإخفاء عنهم مُستحيلًا، فقال له (عامر) حاسمًا كلماته في جعبته:

- -مصيرنا واحد فاحكِ لنا كُل ما تعرف- .

- بدون مقدمات . . عندما لاحت لنا صورة انتهاء الجماعات الإرهابية وتقهقرها عن الساحة بقوة، وكثرت المطالب المُعادية لوجودنا في منطقة الشرق الأوسط وخاصة المنطقة العربية، فكرنا بإعداد شيء نبرر به وجودنا في المنطقة، تعددت الاقتراحات حتى طرحت أنا فكرة رعاية تلك الكائنات وإعادة بعثها مِن جديد، في بادئ الأمر استنكروا الأمر تمامًا واعتبروه خرافة وهزي مِن عقلي، لكن مع تصاعد المطالبات وتراجع الإرهاب المُستمر

ودحره، وافقوا بشرط توليتي الأمر بالكامل مع مساعدتهم من بعيد فقط، بنينا ذلك المبنى للتدريب وشرعنا في استقطاب الناس إلينا بعناية، ووضعهم باختبارات مُتعددة في ثلاث مراحل، كان الاتفاق مع أباجير هو وهب الذين سنختارهم للمهمة قوة أبنائه ومن ثم هُم سيختارون الناس مِن شتى بقاع الأرض، لكن لا خروج لأباجير أبدًا هو فقط يساعدنا، لكن ما فعلناه قد قُلب علينا وفر أباجير واستدعاه أبنائه، ليس هذا ما خططنا له أبدًا- .

سمعوا جميعًا ما قال، لا يعرفون ما تنبس أفواههم للرد عليه، فسبقهم (عامر) في الحديث قائلًا:

- -هذه هي سياسة العم سام، لم تغيروا شيئًا منها سوى الأشخاص ومناطق اللعب- .

وأتبع:

- -حتى بعد ١١ سبتمبر ما بُدل شيء إلا تغيّر أسماء أعداء الحلم الأمريكي، فبعد عبدالناصر أصبح تشافيز، و جيفارا تحول إلى بن لادن، والشيوعية حلّ محلها الإرهاب العصري، وتغيّرت ساحات اللعب لتحل العراق وأفغانستان وليبيا وسوريا محل فيتنام وأمريكا اللاتينية، لا شيء يتغير سوى العم سام الذي شاع فيه المرح بيهمنته وبسط نفوذه على العالم- .

عمّ الصمت مرة أخرى وسط نظراتهم إلى (ويليم) الذي راحت نظراته تتخبط في ممرات الاضطراب، قال (ويليم):

- -صدقني أنتم شعوب غير مُأهلة لتحكموا أنفسكم، أنتم تحتاجون لرعايتنا- .

عاجله (عامر) بالرد:

- -مازلتم أيها الأمريكان لا تدركون أن في كل مرة تتدخلون فيها ببلادنا يصير

الخطر علينا وعليكم وعلى العالم أجمع- .

وأتبع:

- -أما سأمتم لعبة صناعة الخطر ؟! تذكرونني بقصة طارد الأشباح، الذي خبأ الأشباح تحت رعايته ثم أشاعهم ونشرهم في بيت ما فهرع سكانه له كي ينقذهم منهم، ويخرج مِن عندهم مُتخمًا بالمال، أما أنتم فتخرجون مِن بلادنا مُتخمين بالمال والنفط وباحتياجنا لكم ونهب خيراتنا باستثمارات مُهترئة- .

رد (ويليم) بعصبية شديدة:

- -أنتهيت مِن مُحاضرتك عن مساوئ السياسة الأمريكية ؟! ألا تدرك ألّا مجال لهذا الحديث الآن، يجب أن ننقذ العالم- .

- -بل يجب أن يعلم العالم- .

صاح بها (وائل) فوافقه – (ملك) و (مُراد) – بصياحهم المؤيد له، فقال (ويليم):

- -يجب ألا يعلم أحد حتى لا تتفرق التحالفات البشرية إزاء هذا الخطر- .

قال (عامر):

- -(ويليم) مُحق- .

وأردف:

- -حفاظًا على تكتل العالم وتجنبًا لفرقته يجب التكتم على هذا الأمر في هذا التوقيت بالتحديد، لكن لو آراد الله لهذا العالم النجاة ولنا الحياة سيكون للأمر مُنعطف آخر يصب في نهايته لمسامع العالم أجمع- .

(٢٢)

أرسلوا ذلك الدخيل مِن أبناء أباجير بسجن السفارة الأسفل مُكبل كما هو ومُخدر إلى أن يجدوا له حل .

ذهبوا لمكتب (ويليم) الخاص بالسفارة، وجالسوه على مضض، عرض عليهم هزيمته للجنود المصريين أمام الهرم وأسرهم بقصره، وخطبة أباجير صباح اليوم، وشرح لهم الخطر الجديد الذي أطلقه أباجير في العالم:

- أباجير يمتلك نفس صفات ذريته، لكن بقوة وتميز واضح، فله أن يبطئ الزمن إلى أن يصل حد إيقافه تمامًا ويمتلك فيه ميزة أخرى وهي سبب ما يجري الآن، فصل نسبية الأشياء عن بعضها، فأبنائه يستطعون إبطاء الزمن لكن على الجميع، لكن هو يستطيع فصل كُل شيء ليكون له زمن معين غير متناسب مع البقية، كما فعل مع قشرة الأرض الخارجية فصل نسبية زمنها مع بقية الكوكب فأصبح هذا الدمار الذي نشهده وسنشهد الأشد قريبًا- .

سأله (وائل):

- -ما تداعيات ذلك ؟!-

- -الهواء سيصبح في مناطق خفيف يصعب تنفسه بسبب الاختلال بين القشرة الأرضية والغلاف الجوي سيهاجر السكان مِن مواطنهم إلى منتصف الكرة الأرضية لأن الهواء في الجنوب والشمال سيصبح هو الخانق على حيواتهم، وأيضًا سيؤدي إلى حدوث الزلازل المُدمرة وثوران البراكين، ويجب أن تعرفوا أن كوكب الأرض مُكتنز في منتصفه، يعني أن المُحيطات والمياه فيه جمة عند قطبيه الجنوبي والشمالي، والذي كان يُحافظ على ذلك التوازن

هي سرعة دوران الأرض حول نفسها، لكن مع تقليل تلك السرعة سنفقد هذا الترابط وستنحدر المياه لتملأ القطبين- .

- -يعني ؟!-

- -خراب على الجميع ستنفق الأسماك ومعظم الحياة البحرية لأنها تتركز في المياه الضحلة حيث الغذاء، ستكون قارات العالم في عزلة عن بعضها لأن النقل البحري قد شُلّ بسبب ما حدث مِن تغيرات، ستلتحم مُدن لم تكن مُتقاربة أبدًا، ستُخلق قارات وجزر مِن قلب المحيط، سيحدث فيضانات جمة، وانحسارات لمياه في أماكن ساحلية كثيرة، ستغرق مُدن كانت بعيدة كُل البعد عن المياه، ستندثر حضارات وستباد شعوب، وستكون البشرية أمام خيارين، إما الانضمام إليه أو عدم الوجود، والأسوأ أن أباجير لم يُظهر كُل ما في جعبته بعد- .

- -الحل الوحيد هو اتباع رسائل الكهنة حتى نستطيع تقويضه، غير ذلك فجهد بلا نتيجة- .

قالها (عامر) فاستحسنوا قوله، لكن بقيت حلقة مفقودة، مِن أين يبدأوا ؟! في النهاية قرروا البداية مِن القبو الذي كانوا فيه، فهو قبر الكهنة الثلاث، ومعهم الرسالة الأخيرة ربما يدركوا فض طلاسمها هُناك .

قال (أيمن):

- -هل هُناك شيء أُساعدكم به بدلًا مِن وجودي عبأً عليكم ؟!-

ترددت ألسنتهم ولكن (ويليم) ابتسم وقال:

- -عندي لك مهمة ستروق لكَ للغاية- .

وأتبع:

- -ستخاطب (نور) وتقنعها بالعدول عما هي به- .

- -كيف ؟!-
- -ستفهم كُل شيء مِن السجين في الأسفل- .
نزلوا إلى الأسفل بالمصعد و (ملك) تسند (أيمن) وترشده ليهتدي بخطواته، أمام السجن أمر (ويليم) جندي بفتحه، دلفوا داخله فوجدوا (نور) مُكبلة بدلًا منه !!

(٢٣)

تكشفت الأضواء عن المذيع المصري الذي أخبرنا عن قرب نهاية أباجير مُنذ يوم فقط، تحدث مباشرة دون مقدمة:

- نحن الآن في منعطف هام في حياة أمتنا العظيمة، أباجير كما يقول عن نفسه، وضعنا ووضع العالم كله في مأزق خطر صعب الخروج منه إلا به، لعله يكون معه صواب ونحن لا ندري فلنستمع له ربما يكون معه الخير ونحن لا ندري ونعافر بلا جدوى وننزلق نحو الهاوية، إني أثق في قرارات حكومتنا التي تعي أي الخير لنا ولأمتنا العظيمة، فيجب أن نكون معها قلبًا وقالبًا- .

كان ذلك وغيره مِن الألسنة الإعلامية التي تنطق بنفس الفحوى، تمهيدًا للشعب بخضوع الحكومة وجميع المؤسسات السيادية لأباجير .

خرج أباجير في الباحة الخلفية للقصر على الجنود الأسرى يتلوا بيان مصر الرسمي بالخضوع تحت لواء أباجير، فقال لهم:

- -إني لا أريد إلا خيرًا، ها هي حكومتكم التي أرسلتكم لتعادوني تستميل رضاي عنها وضمها إلي، وإني لا أريد الفتك بأحد ولو أخطأ بحقي، فإني لمعطيكم الرحمة وفرصة للانضمام إليّ- .

تهامس الجنود فيما بينهم وسط حراسة بعض أبناء أباجير لموقعهم الذي هم فيه، بعد فترة قبل قائد هذه الكتيبة، فقال لهم:

- -ستكونون أول جنودي، وهذا لو تعلمون لأمر عظيم- .

(٢٤)

- -لا تجعلهم يؤذونني يا (أيمن)- .

قالتها (نور) بصوت يجر مشاعر (أيمن) لهاوية الحب، فصاح فيهم (أيمن):

- -لِمَ تسجنونها هُنا ؟!-

وقفوا جميعًا مذهولين عدا (ويليم) الذي رسم ابتسامته وهتف في أحد جنوده قائلًا:

- -آتني بغرابه- .

فزع وجه (نور) بشدة راحت تصرخ مُناجية (أيمن) بأن ينقذها قبل أن يقتلها، أمسك (ويليم) بالغراب وأخرج خنجرًا مِن خصره ودق به صدر الغراب حد اخترقه وثبت حدها بالغراب على الحائط، صرخت (نور) بشدة واستحالت ملامحها حتى تحولت لملامح السجين وغلظ صوته .

خرج مِن جسده طيف أسود يتألم والغراب يجذبه إليه، حتى تلامسا وتحولا إلى رماد فسقط الخنجر فوق الرماد حديث التكوين .

قال (ويليم) لهم:

- -أخبرتكم أنه مِن أبناء أباجير وله قدرة على تغيّر الملامح- .

وأتبع وهو يلتقط خنجره مِن الأرض:

- -تنبهوا للتفاصيل فهي مهمة- .

تمعن (عامر) للرماد المفروش على الأرضِ، فهمس لنفسه:

-ورماد عين-

ثم التفت لهم وهو يشير للرماد:

- -هذا هو الرماد الذي يقصدونه الكهنة في رسالتهم- .
على الفور أمر (ويليم) جنوده بجمع هذا الرماد في إناء يحفظه ويضعوه في مكان آمن .
جذب مسامعهم أنين الشخص المُكبل، أفاق ذلك الشخص مِن كبوته، نظر حوله بشرود وحيرة، بعد وهلة واستبيان الأمر تهللت أساريره هتف بسعادة:
- -تحررتُ مِن السجنِ تحررتُ مِن السجنِ- .
نظر لهم وتمعن في وجوههم، فلم تتعرف ذاكرته على أحد منهم، بدأ ينسل إليه القلق، فأشار (ويليم) لأحد جنوده فاقترب من ذلك الشخص وفك وثاقه الحديد .
سألهم ذلك الرجل وهو يتحسس آثار الوثاق في يده:
- -مَن أنتم ؟!-
فرد عليه (ويليم):
- -نحن مَن حررناك مِن سجنكَ- .
نظر له بتوجس وسأله:
- -وماذا تريدون ؟!-
- -احكِ لنا عن سجنك، وسنتركك تذهبُ حيث تشاء- .
نظر للجنود الذين يحملون آسلحة آلية حوله فتيقن ألا خيار أمامه فطفق يحكي عن سجنه:
- آخر ما أتذكره هو ذلك الشخص الذي اختطفني وأنا خارج مِن الحانة، وتلا أمامي شيء غريب لم أذكر منه إلا ثلاثة عشر ويزيدون واحدًا، وجملة بها ظلام شيء من هذا القبيل، ثم رأيت عيون حمراء متوهجة كثيرة تُحيط

بي، ولم أفِق إلا في سجن ما، لا أعرف أين هو و لا متى جُلبتُ فيه ولِمَ، لكنه كان يبدو كسجن بدائي فالمشاعل على الجدران وكان يداوم على مراقبتي سجانان ملابسهما بدائية، كانا يقدمان لي الطعام والشراب وفقط، كانت الحياة قاسية للغاية قبعت فيه كثيرًا حتى فقدت الأمل وذبلت فكرة الحرية مِن رأسي، ولكني الآن حُر أليس كذلك ؟! -

أومأ له (ويليم) وفتح الباب وأشار بيده خارجه، فنهض الرجل بحذر وسط مراقبتهم له، فقال وهو عند مهد الباب:

- -هل حدث في العالم جديد ؟!-

- -لا شيء سوى ظهور شخص يُدعى أباجير كان يعيش مُنذ آلاف السنين وعاد وهو يريد أن يحكم العالم- .

نظر لهم بعدم فهم يمازجها الحيرة فقال وهو يخرج:

- -جيّد- .

تبادلوا ابتسامة على بلاهة الرجل، سرعان ما عادت ملامحهم للجديّة مرة أخرى، وجه (ويليم) كلامه تجاه (أيمن) وقال له شارحًا:

- -الشخص الذي يستحوذ عليه دون إرادته يجد نفسه في سجن محبوس فيه، أما مَن يُستحوذ عليه بإرادته فإنه يكون حرًا، أين بالتحديد ؟! لا أعرف، لكن هُناك صلة ما بين جميع المستحوذ عليهم بداخل هذه القاعدة، فعليك عندما تذهب لهذا المكان أن تعرف طريقة للتواصل مع (نور)، وإن كان هُناك صلة بينك وبين المسجونين فحاول تحريرهم- .

فسأله (أيمن):

- -ولكن كيف سأكون بإرادتي مُستحوذ عليه ؟!-

ابتسم (ويليم) وقال:

- -دع هذا الأمر لمُساعد القائد- .

(٢٥)

تحركت بحيرة المصريين الراكدة، تدفقوا صوب قصر أباجير، يقدمون العطايا وفروض الولاء له، تقف جحافل متزاحمة في محافظة الجيزة أتت مِن المناطق القريبة والمحيطة فقط لأن الكثير مِن الطرق البرية قد عُطلت ومَن بعدت مسافته صَعُب وصوله .

أبناء أباجير بجانب الجنود المستسلمين ينظمون صفوفهم لأخذ العطايا والهدايا منهم باختلافها الشديد لتباين الفرق الإجتماعي بين الشعب الواحد، فبسطاء اليد والحيلة قدّم شخوص منهم مرايا وآخرين غربان وغيرها مِن العطايا الصغيرة التي تشعر أباجير بسطوته على نفوسهم حتى الذي لا يستطيع تقديم ما يليق يقدم ما بيده حتى يعم رضاه عليهم .

بعد انقضاء النهار كُله وبعض الليل – اللذين تمددا زمنًا – خرج أباجير على الجموع الغفيرة التي تبدأ مِن أسوار قصره وحتى مد بصره، وقف على بوابة السور الكبيرة وخلفه بعض أبناءه من ضمنهم (نور)، أول ما طمحت أبصارهم إليه هتفوا باسمه وبحياته، نظر إليهم مُنتشيًا، أدار وجهه للخلف وقال لهم:

- -انظروا إلى قوتي الإلهيّة- .

ثم نظر أمامه تجاههم وأشار لهم بيده أن يتوقفوا عن الهتاف ففعلوا، توزعت أسراب مِن الغربان جمة تطوق مِن السماء ذلك الحشد الكبير، حتى يصل صوت أباجير لجميعهم عن طريق ألسنة غربانه، فشرع يتلو خطبته:

- كان أجدادكم في الماضي أهل عون لي، تمنوا رضاي فأغرقتهم بالنعم، أطاعوني ففتحنا بلاد ومدن كثيرة وجلنا في الأرض أسيادًا، واليوم ها أنتم تأتون إليّ، لكن هذه المرة سنحكم العالم أجمع مِن مركزنا هُنا . . مصر، فكونوا معي جُند نُكن أسياد العالم- .

صاح الجمع فرحًا بعد هذه الجملة فأتبع بصوت يملأه الحماسة:

- -ولأنكم أول شعب يذعن لي الأمر والقيادة، سأمنحكم عطية ومكافأة على ذلك، ستعيشوا اليوم أربع وعشرين ساعة كما اعتدم، وبقية العالم سيشعروا به ممددًا فوق قدر استطاعتهم حتى يرضخوا لنا- .

- عاش أباجير . . عاش أباجير -

رددت الجموع هذه الجملة مرارًا وتكرارًا، صوتهم يُخيف أكثر من صوت أباجير، فهنا تتكتل قاعدة الديكتاتور لتحقيق أهدافه، تتعلق هيبته في قلوبهم، يرون فيه مُخلصهم وعاطيهم النعم ومانع عنهم الشر .

عرضت قناة أجنبية هذا الخطاب الذي بُث على جميع القنوات وتبعه شعار عين الغراب، فعادت الشاشة شاملة المذيع وضيفه الذي يحاوره أمامه، بدأ حديثه قائلًا:

- -مرّت ست وعشرون ساعة وبقي على انتهاء اليوم ساعتين، الأمرُ يزدادُ خطورة وتعقيدًا، والعلماء في حيرة وسط التطورات المستمرة التي أصبحت صعبة المواكبة، معنا اليوم (ضحك ساخرًا) أو اليوم جديد الزمن، الخبير العسكري الأمريكي (مايكل شون)، سؤالي لك يا سيد (مايكل) وهذا السؤال تطرحه كُل شعوب العالم الآن، ما الذي يمنع الجيوش مِن بدأ حرب مع هذا الرجل حتى ولو وصل الأمر للصواريخ النووية ؟! ما الذي يمنع قتله وإبادة تابعيه ؟!- .

همّ (مايكل) أن يجيب لكن توقف للحظة ترتج فيها الكاميرا فنظروا حولهم بتوتر، خفت الارتجاج، وشرع يجيب:

- -الأمر ليس كما يظنه الجميع سهلًا، نطلق صواريخنا و نهاجم بطائرتنا وبوارجنا ونسحقه في التو واللحظة، بسبب التغيُّر في حركة دوران الأرض حول نفسها وبالتحديد القشرة الأرضية، أصبح هُناك تفاوت بين حركة الغلاف الجوي وحركة الأرض، فقد نطلق صاروخًا ولا يصيب الهدف الذي نريد، لأن هُناك تغير دائم في الغلاف الجوي والقشرة الارضية يصعب مجاراته، وكُل أسلحتنا ومُعداتنا مُصممة على ثبات حركتهما، وأكبر دليل على ذلك أن الملاحة الجوية مُعطلة وجميع الشركات تُفلس الآن، والبورصة في انهيار لتوقف الحياة التجارية والخطوط الجوية والرحلات البحرية وكُل شيء، العالم يتغير، وأأسف أن أقول يبدو أن في نهاية المطاف سنطيعه مِن أجل بقاء الجنس البشري- .

(٢٦)

خرج (أيمن) مِن غرفة مظلمة بالسفارة، نظر لهم بعيون مُهتدية، عمّت الصدمة ملامحه، وقال فرحًا وهو يثب كالأطفال:

- -إني أرى، إني أرى- .

وطفقت عبرات تهرب مِن مقلتيه تغذي وجهه المنتشي، تأثروا جميعهم بفرحته الطفولية عدا (ويليم) الذي وقف بوجه جامد وقال لـ (أيمن):

- -أعرف مدى سعادتك وقد نلت مِن قلبي، الآن يجب أن تذهب لمهمتك-.

أفسد لحظته الاستثنائية بخصوبة عينيه بعد سنين عجاف، تقدمهم (ويليم) لمكتبه، دلفوا إليه فأجلس (أيمن) على مقعد مكتبه وقال له:

- -مهمتك هنا لا تستدعي أكثر مِن مجلسك على هذا الكرسي، كُل شيء تُريده اطلبه مِن الجنود سيأمنوك حق التأمين، ستجد طريقة تُبحر بها داخلك حتى تجد نفسك في مكانٍ ما خاص بالمستحوذ عليهم بإرادتهم، وحاول التواصل مع (نور) وجلبها مِن الطريق الموحش التي هي فيه، وإذا استطعت تحرير المستحوذ عليهم الآخرين فافعل- .

أومأ برأسه وبدأ يُروض نفسه على ذلك، خرج البقية تجاه غرفة أخرى، دخلوها، أمسك (ويليم) بكرة معدنية ووضعها أمام مرآة تتوطن جدار الغرفة، تذبذبت المرآة حتى انعكست على صورة القبو، نفذوا مِن المرآة لذلك القبو، أو قُل مقبرة الكهنة، وأبقوا على الاتصال بين المرآتين إن حدث شيء استدعى العودة .

جالوا المكان وفتشوا أركانه، وجدوا مرآة قد نُصبت أمام مرقد الكهنة، أيقنوا

أن الأمر يسير في طريقه الصحيح .
وقفوا أمامها، سمعوا صوت الآلة الراسمة فأنشأت لهم صورة لمكان عجيب سقفه مرتفع يمتلئ بالندوب المدببة المواجهة للأرض باختلاف طولها، وجدرانه وأرضيته بها بعض الانحناءات لكنها أقل من التي في السقف عددًا وحدة تكاد تقارب الاستواء .
- -أنتم الأمل الأخير- .
انتبهوا لهذه الجملة فنظروا فوجدوا أمام المرآة يقف ثلاثة أشخاص يلبسون عباءات سوداء تغطي أجسادهم بالكامل وقلنسوات تُغلف رؤوسهم وتحول دون رؤية ملامحهم، تمعنوا في وقفتهم الثابتة حتى بدوا كالأصنام مُطرقة الرؤوس .
تشوشت صورتهم للحظة فتبينوا ضوءًا يخرج مِن المرآة، فصورتهم تخاطب انعكاس ذلك الضوء على حائل خفي أمام المرآة، بزغ صوت يحدثهم قائلًا:
- -هدفنا واحد، ما صنعنا مِن أشياء تقوض أباجير ستحصلون عليها بخطى فك طلاسم الورقة التي معكم، أما إعادة سجنه ستكون علينا في النهاية، في آخر يوم بشهر كيهيك .
تذبذبت صورتهم حتى كادت تختفي، لكنها لومضة رجعت ثابتة قال أحدهم فيها:
- -احذروا بينكم جاسوس- .
اختفى وجودهم تمامًا، نظروا جميعهم إلى (ويليم)، فتوجس مِن نظراتهم التي تخترقه بسهام الشك والاتهام، فصاح فيهم:
- -بعد كُل هذا تظنونني جاسوس !!-
فقالت (ملك):

- -أنت السبب في رجوع أباجير وفي كُل ما يحدث في العالم الآن، وأنت الذي ظهرت فجأة لنا مِن حيث لا ندري، ما المانع أن تكون هكذا ؟!-

- -لأنني بالفعل أخطأت وأريد أن أصلح خطأي- .

- -انظروا إلى المرآة- .

صاح بها (وائل) فنظروا إليها فوجدوها تعرض مشهدًا قديمًا، آخر مشاهد الكهنة .

(٢٧)

شعر بالريح يداعبه، فتح عينيه فوجد نفسه في شرفة ترتفع عن الأرض بمقدار طابق واحد، نظر خلفه فوجد بهو حجرة كبيرة مُضاءة مشاعله، طل بمد بصره على الأفق فوجد قبة أمامه تبعد عنه كثيرًا وعلى يمينه ويساره أيضًا .

دلف داخل بهو الحجرة فوجد خريطة على طاولة، خريطة تمثل دائرتين كبيرتين إحداهما كبرى تحتضن الدائرة الصغرى داخلها، يقبع على كُل دائرة خمس عشرة قبة، بينهما الطريق مرسوم بتساوي، وهُناك غور أزرق يُمثل بحيرة تظهر في الخريطة حيّة جارية ومناطق خضراء متناثرة على هوامش الدائرتين يحركها الريح في الخريطة، وفي منتصفهما مربع كبير يلامس أجزاء الدائرة الصغرى مِن الداخل، لكنه مُندثر التفاصيل .

توقع أن تكون القباب رمز لقصور مثل الذي هو فيه والمربع كما حُكى له هو قصر أباجير الذي أصبح في الأرض الآن .

دوى صوت نعيق غراب مِن الشرفة، فحلق نحوه واستقر بكتفه، فكر كيف يجد (نور) ويراسلها، لكن عقله لم يجد لذلك سبيلًا، جال في القصر فوجد سلمين كبيرين يربطان بينه وبين الطابق الأول فنزل له، مر بجانب باب القصر ونوافذه، حتى وصل في ركن مِن أركان القصر الجانبية، سُلم صغير، فنزله فوجد زنزانة خالية، لوهلة تذكر حديث ذلك الشخص الذي كان يتكلم عن الاستحواذ عليه وتحرره مِن سجنه، إذًا فالقصر هو مكان مُريدي ذلك الاستحواذ وغير مُريديه يقبعون بسجن أسفل القصر، فهذا

يعني الصلة المباشرة التي يمكن أن تكون بين المسجونين وبينه .
لكنه بداية يجب أن يحدث (نور)، أغمض عينيه يتحسس أي صوت غير ثوب الهدوء المُريب الذي يرتديه المكان، سمع دقات قلوب مُتعددة، اضطرب لهجوم صوتها على مسمعه، لا يعرف إلا أنها تحيط به الآن، فجأة هتف - نور - .

*****

شهقت (نور) للصوت الذي استباح مسمعها للحظة واختفى .
هل يمكن أن يكون هو ؟!
سألت حدسها، وحدقها دؤوب يبحث عن حقيقة الإجابة، ووجهها واجم لا يعبر عما ألمَّ بها، تردد اسمها ثانية فانتبهت بيد تزجرها بخصرها لتنتبه لأباجير الذي يُخاطبها فسألها:
- -هل طرق جديد ؟!-
تلعثمت قليلًا فأغلق عقلها على لسانها الكلمات، لكنها جاهدت لتنسل الكلمات وتنحدر لفمها فقالت:
- -نعم يا سيدي، يقول أن الكهنة تواصلوا معهم عبر مرآة في قبرهم، ووعدوهم بامتلاك الأشياء التي تقوض قوتك، وأيضًا قال أن النهاية ستكون عليهم في آخر يوم بكيهيك- .
أنصت جيدًا لحديثها، وهمس لنفسه:
- -بعد غد نهاية كيهيك، ذكرى اليوم الذي سجنوني به- .
اضطربت ملامحه فخلعت عنه ثوب الهيبة قليلًا لكن سرعان ما التقط هيبته وقال صائحًا:
- -هذه المرة سأقضي أنا عليهم- .

ثم قال لمن أمامه مِن أبنائه:

- -اجمعوا بقيتكم وقائد الجنود المستسلمين واجتمعوا هُنا- .

سرعان ما تجمعوا مثلما قال في بهو حجرته، وقال لهم بصوته الجهوري:

- -غدًا اليوم الثاني في الدرس، يوم سيعكس ضعف البشر، سنسقيهم الظلام كما لم يُسقوا مِن قبل، أبشروا فالغد هو تمهيد لكون هذا القصر مركز العالم بأسره- .

(٢٨)

تذبذبت الصورة في المرآة كصفحة بحر أُلقيت بها قطعة حجر، وكشف عن مشهد ذعر وخوف للكهنة، وسط صيحات الكثيرين أمام القصر، هرعوا للشرفة فوجدوهم يلوحون إليهم بأسلحتهم وهم يهتفون بهلاكهم واصفينهم ببقايا ظلم وظلام أباجير، وقد تخلى عنهم جميع الحرس .

اقتحموا عليهم القصر فودوا لو أقلعوا عنه ولم تطأه سيقانهم، على درجات البهو يشاهدونهم وهم يصعدون إليهم والبعض مِن الأسفل يقذفهم بالسهام فيتلافوها قبل انغراس أحدها فيهم، هرولوا للغرفة الرئيسية وقد أيقنوا أن الهروب هو عين العقل والشجاعة هي صُلب الحمق .

حملوا أشياء في جعبات انتشلوها من مرقدها، وفتحوا بابًا قد توراى عن الأنظار لتشابهه مع مكونات الغرفة، نزلوا درجاته وهم ينحطون في دركات الخوف والفزع، والجدران تعبث بهم وتردد صيحات الغاضبين بين آذانهم، وصلوا في النهاية لباب خلفي لأدنى القصر، فوجدوا أحصنتهم الثلاثة، لكن أمامهم شخص يطعن الحصان الأول، عندما رآهم صرخ وهو يشير للغاضبين الذين هم على مبعدة من سماعه .

هووا عليه بحجر فتت رأسه ونثر دمه وقيّد حركته للأبد، ركب أحدهم حصانه واثنان تقاسموا الحصان الأخير، وعدوا سريعًا بغير قبلة، تذبذبت المرآة مرة أخرى، فعادت وتحمل في طياتها مشهد يحمل قسمات الظلام أمام كهف ما، تتراجع زاوية المرآة لتشمل ثلاثتهم وهم يسيرون نحوه مُتقاسمين حمل بينهم، ويحمل اثنان منهم مشعلين، فدخلوا والمشاعل تبدد الظلام

بمهد الكهف بقدر استطاعتها، اختفوا داخله وبقي مشهد الكهف فقط .
- -هذا هو الكهف الذي رسمته الآلة الراسمة- .
قالها (وائل) وهو يمسك بالورقة التي رسمت عليها الآلة، يظهر بالفعل نفس الملامح والتكوين لكن الآلة رسمت الكهف مِن الداخل بينما تعكس المرآة الكهف من مدخله .
أمسك (ويليم) بالورقة وأخرج مِن حقيبته جهاز مسح بنوره الورقة ثم تحدث مع جنوده على أن يعرفوا مكان هذه الرسمة وكم تبعد عنهم، سرعان ما جاءه الرد معطيًا إياه المعلومات، فكان الكهف هو وادي سنور، وهذه النتوءات هي تراكيب جيولوجية تكونت مُنذ ستين مليون سنة، ولا يبعد عنهم كثيرًا .
أمرهم (ويليم) أن يبعثوا له سيارة تأخذهم مِن القبو إلى وادي سنور، هتف (مُراد) وهو يتحسس المرآة:
- -إنها منعكسة على الكهف ويمكننا المرور مِن خلالها- .
بالفعل مّروا ووطأت أقدامهم الرمال أمام الكهف وقد ثُبت عليها المرآة الموصلة له، أبدى (وائل) إعجابه بها قائلًا:
- -أقسم بربي المرايا هذه أفضل مِن المترو- .
قبل الدخول أوقفهم (عامر) بكلماته:
- -أريد أن نضع الآلة الراسمة في مكان آمن فهي تفيدنا بشتى الطرق- .
- -هاتها أضعها في حقيبتي- .
قالها (ويليم) فرد (عامر) حازمًا:
- -لا، ستعطينا حقيبتك ونضع بها الآلة وستكون مع (مُراد) فهو أكثر الناس ثقة وقدرة على حمايتها- .

أعطاه (ويليم) الحقيبة على مضض، فأخذها وحملها (مُراد) وداخلها الآلة الراسمة، وشرعوا يبحرون داخل الكهف وكانت ساحته الداخلية تماثل رسمة الآلة بالضبط .

أخرج (عامر) الورقة التي بحوذته وقال:

-دماء عذراء السواد ورماد عين وساعد الوحش بفجوة مطوية مُنذ ملايين السنين- .

وأتبع:

- -أعتقد أن كُل شيء مُفسر الآن، دماء عذراء السواد، أي دماء لشخص لم يُستحوذ عليه، رماد عين، وهو الرماد الذي معنا مِن قتل الغراب، ساعد الوحش، وهو (ويليم) لأن المعنى هُنا مجازي، بفجوة مطوية مُنذ ملايين السنين، وها نحن داخلها كما أكدت المعلومات أن هذا الكهف تكوّن من ستين مليون عام- .

سألته (ملك):

- -وماذا بعد ؟!-

- -مَن مِنا سيتبرع بدمائه ؟!-

(٢٩)

أغمض (أيمن) عينيه، لا يدري إن كانت كلماته السابقة وصلت لـ (نور) أم لا، لكنه يستشعر وجودها، لو كان يعرف في أي قصر تقبع لذهب إليها سيرًا في أرض لم يعرف موطئها، خطر في نفسه فكرة فترجمها بلسانه قائلًا:

- -لا أعرف كيف أُحادثك فإن كان لي في قلبك مثقال ذرة مِن عشق فحدثيني- .

ران الصمت واستند بعكازه الغليظ على صبر (أيمن) حتى ضاق به السبيل إليه .

- -بل أكثر- .

سمع هذا الصوت يتردد خلسة وسط عتمات الهدوء فظن أن الهدوء يعبث به لكنه أيقن أنه عين الحقيقة، وقال لها شائعًا هواه بكل حواسه العليلة بالحب:

- -وإني لأحمل لكِ ما تحمله مواثيق الهوى- .

صمتت للحظة وقالت:

- -لا أعرف ماذا قالوا لك عني، لكن بالتأكيد معرفتكَ بي تتخطى حديثهم- .

- -لا يهم ماذا قالوا، المهم أين أنت الآن- .

وأتبع:

- -الظلام سبيل الجحيم فانظري ولو مرة لطريق الجحيم التي تطأيه- .

- -أنت لا تدري ولا تدرك أين سنصل بهذا، إنه يحمل الخير للعالم- .

- -إنه يدمره- .

- -يفعل ذلك ليرضخوا له ويكونوا تحت لواءه ليحقق ما يريد من عدل وسلام وحرية- .

رد مستنكرًا:

- -أتظنين أن شخصًا جاء بالسيف والترهيب والتهديد سيسود العالم عدلًا وحرية وسلام !!-

نضبت كلماتها عن الوصول لأذنه حتى أعادت فتح المجرى قائلة:

- -أيعجبك ما في العالم من أنظمة ؟! إنها ظالمة جشعة- .

- -إذًا فلنُنشئ نحن طريقًا تسلكه البشرية غير ذلك، ليس به جهل ولا فقر ولا ظلم، وبه حد السيف بالحق ولا ظلام يطغى على الشعوب، فلنُنشئ نحن ذلك يا (نور)- .

- -حتى لو صح حديثك . . كيف ؟!-

- -بالابتعاد عنهما، أول الطريق هو الابتعاد عن الاثنين- .

عاد الصمت يجول في جنبات المسامع مِن جديد، حتى قطع تجواله (أيمن):

- -في أي قصر أنت يا (نور) ؟!-

استشعر (أيمن) ترددها بين صمتها، فأعاد سؤاله فأجابت:

- -لا تأتِ إليّ يا (أيمن) إن لم تكُن معي فلا تُكن ضدي- .

- -أخبريه أن يُحدد قبلة صوته- .

اندس هذا الصوت بينهما، فزعت (نور) وهي ترى بجانبها (عصام) وهو يبتسم ابتسامة ذات مغزى، فقال لها:

- -أخبريه أن يُرسل رسالته لكِ فقط لا تجول في مسامع قصر غيره، لا بد أنه جديد في الأرضِ القديمة، أخاف عليه مِن أن يضيع في ربوعه المظلمة- .

نظرت لعينه بثبات وثقة، وقالت:

- -سأَعُد ما قُلت تهديدًا، وأرد عليك بالمثل- .
وأتبعت وهي تثقبه بنظرات تعرف جيدًا في أي موجع تضرب:
- -لا تنسَ أنه يشك بك مُنذ وصول الورقة الأولى لهم عن طريق غراب، وتذكر أيضًا أن تواصل الجاسوس معي أنا، فمن السهل اختراع قصة على ثبوت شكه فيك- .
لم ينبس بكلمة، لكنه لم يُرد أن يظهر ريبته مِن تهديدها، فابتسم ورحل .

(٣٠)

اتفقوا بعد مشاورة بينهم طالت، أن (عامر) هو الذي سيتبرع بدمائه، لأن جميعهم قد مسهم الظلام وما في الرسالة يشترط أن يكون دمائه عذراء السواد، و (ويليم) لا يثق به أحد، فأخرج له سكينًا ودّ لو طعنه به، لكنه في النهاية سيراه وهو يجرح نفسه لتنسل دمائه لتروي، لكن السؤال كان -ماذا ستروي؟! -

جالوا الكهف لعلهم يجدون شيئًا مميزًا، فوجدوا حجرة بجانب مِن جوانب الكهف، عليها باب مكسور حجره مِن الأعلى ويكشف عما وراءها مِن غرفة متوسطة المساحة تكاد تتسع لهم واقفين .

حاولوا تحطيمه لكنه كان صعب التحطيم، وأحدهم يحاول، استشعر بيده ملمس زجاجي فأزاح التراب عن مكان الملامسة، فكشف عن قنينتين صغيرتين تقبعان بكوة صغيرة بالباب الحجري .

أخرجوهما مِن مقبعهما، فتيقنوا أنها منسل الدماء إليها، فسألهم (عامر) باستنكار ساخر:

- -سأملأ قنينتين بدمي !!- .

- -رماد عين- .

قالها (مُراد) فأشار لـ (ويليم) أن يخرج القنينة التي جمعوا فيها رماد الغراب، فأخرجها ووضعها في القنينة الأولى، فتبين الأمر أن عليه ملئ قنينة واحدة فقط والأخرى ستظل معهم .

جرح (عامر) نفسه وشرع في ملأ القنينة بما يعتصر مِن شراب جسده،

فنهلت منه ما يكفيها ووضعوها بالكوة .
ارتج المكان بقوة شديدة، انهالت عليهم الصدمة فلم يحركوا ساكنًا، بدأت بعض النتوءات المُدببة تهوي عليهم، لو زُرعت واحدة في جسد أحدهم لأثمرت روحه خارجًا، انتشلوا القنينتين مِن غورهما ولكن هذا لم يُرض الأرض فلم تتوقف عن الارتجاج والازدياد فيه .
أيقنوا أن الأمر قد تعدى سيطرتهم فركضوا خارج الكهف بالكامل، لم ينهَر الكهف، لكن الأرض التي كانت أمام الحجرة سُدت بالكامل، هُنا هتفت (ملك) فيهم:
- -كيف يحدث هذا وكُل الشروط متوفرة كما قالوا ؟!- .
وأتبعت بنظرة مُتساءلة:
- -هل مسك السواد يا (عامر) ؟!-
ارتبك (عامر) مِن السؤال والجميع زاد تربصًا وقلقًا فوق قلقهم، شهقت بعدما أصابتها خاطرة عنه، صاحت فيه بقوة:
- -أنت الجاسوس يا عامر !!-

(٣١)

زُرعت السماء بذور فأنبتت قطن نسج السُحب بين حياكة الشمس لضوئها، لكن هذا المنظر المُبحر في الجمال لن تجده إلا في مصر، قد يكون موجودًا في بلدان أخرى لكن لن يراها أحد .

فالأرض الآن لا تعرف إلا الظلام والليل، فنصف الكرة الأرضية التي يربض بها الليل كما هو لم يمسسه سوء، لكن نصفه الآخر الذي تحاول خيوط الشمس أن تسطع فيه تصدها خيوط الظلام التي أطلقها أباجير في العالم .

فلو تخيلنا كوكب الأرض الآن يدور حول نفسه فسترى جزء ليلي والآخر قاتم مُظلم تمامًا، فالظلام يسير في سماء النصف الآخر كغيمة لم يسبق لمثلها ثقلًا تردع النهار مِن الولوج بنوره .

هكذا أصبح العالم . . في الظلام .

اليوم أصبح أطول وصل إلى أربع وستين ساعة، فمدى القسوة الذي ستعانيها الشعوب في هذا اليوم كبير، والخطر المُحدق بهم جمّ .

فبدأ أباجير يلعب لعبة استخدمها كُل ديكتاتور، الترهيب مِن حال الغير، فأذاع في البلاد التي لا يزال الليل فيها يقبع، الظلام الدامس الذي تعيشه الدول الأخرى التي – مِن المُفترض – هلّ الصباح عليهم، فراح الذعر يضرب في قلوب الجميع مِن مصير قريب وعذاب لم يتذوقوا مثله، فكانت الدول التي على مقربة مِن ضوء الصباح أول المستسلمين، فأعلنوا تبعيتهم لأباجير دون شروط حتى لا يدخل الظلام عليهم ويفترسهم فيعيشوا ساعات طويلة مظلمة لا يملكون فيها إلا السكون، بينما في بقية الدول الذي تبتعدُ سماءها

عن ساعات الصباح حدثت بها اجتماعات عُليا طارئة لمناقشة الأمر .
وفي الدول التي فيها حرارة الشمس دون ضوءها، فيعيشون في دمار نفسي، فالصباح الذي تعودوا نوره لم يروه، الظلام كان ضيف ثقيل عليهم لا يعلمون أنه سيكون رفيق اثنين وثلاثين ساعة مضنية، تضربهم كما تضرب العصي غرائب الإبل .
لم يذهب أحد إلى عمله، لم يرَ أحد مَن اعتاد رؤيته، لم يتواصل مع العالم كما اعتاد التواصل، لم يتفحص أحد آخر الأخبار على توتير والفيس بوك، ولم يكتب أحد تغريدة عن مساوئ الظلام ولا منشور أشعر بالظلام مع نصف الكوكب، كُل شيء قد تغيّر، وأيقنوا أن الشخص الذي ظهر على الشاشات منذ يومين، لا يهزي وأن مَن طمأنهم لا يعرف الأمن الآن ولا يدرك إلا الخوف والوجل، فبدت الأنظمة التي عاشوا عقود في ظلها في عيونهم صغيرة، سهلة الكسر، هشّة أمام أول ريح تعصف بها، فما مرّت إلا ساعة فقط، أحسوا فيها بفقد آدميتهم التي أُدميت بخناجر الظلام .
ومَن كان يسكنُ على أطراف الأرض الشمالية أو الجنوبية فقد حطّ عليه القدرُ كما يُحطّ السكين على رقاب البعير، فالهواء فيه قد خفّ ثقله فصار صعب التنفس مِن اختلال الحركة بين الغلاف الجوي والأرض، يجاهدون التقاط الأنفاس كأنهم يركضون في مارثون وهم ساكنو الحركة، وهذا كُل مايملكوه .

(٣٢)

- -(عامر) ليس جاسوس- .

قالها (ويليم) بثقة كان يظن أنها ستنهي شكهم فيه لكنها رمت بسهم خائب فما أصابت يقينهم، و (عامر) يقف مكتوف الحركة والتفكير واجم الوجه ومطرقه، فقالت (ملك):

- -مِن أين لكَ بهذا ؟!-

فلم يُجب، فسأل (مُراد) (عامر):

- -أمسّكَ السواد ؟!-

لم يرد (عامر) فأجابه (ويليم):

- -لقد مسّه السواد ولكنه ليس جاسوسًا- .

انتبه إليه (عامر) وبدا أكثرهم رغبة في المعرفة فسأله:

- -كيف ؟!-

- -كُنت مُساعدي يا (عامر)- .

أصابتهم الجملة بسهام الصدمة والوجوم، فقال (عامر) مُرتبكًا:

- -أنا لا أذكر شيئًا كهذا- .

وأتبع متلعثمًا:

- -أفقدت الذاكرة أم . . أم حدث لي شيء ما، ما . . كيف ذلك ؟!-

تعلقت العيون بشفاه (ويليم) التي تجيب:

- -استحوذنا عليك- .

زادت الجملة مِن ترقبهم لما سيُقال:

- -عندما بدأنا نبني مقر التدريب استعدادًا لاستقطاب الشباب، كان ينقصُ دراسة وافية بزاوية نفسية عن مَن نستقطب وكيف نوجههم وكيفية بناء العقيدة وترسيخها عندهم، حدثت قيادة المخابرات الأمريكية فرفضوا تزويدي بأحدٍ يساعدني، قالوا أنهم لا يريدون توريط أمريكي غيري والجنود الذين يتبعونني، فقررتُ البحث في مصر عن مَن يصلح لتلك المهمة، ووجدتكَ يا (عامر)- .

أردف ناظرًا إليه بتمعن:

- -كُنت الأكثر علمًا والأجم جنونًا كما أنك أستاذ جامعي في علم النفس، فاخترتكَ لنا، ولكن لم أكُن لأراهن على موافقتك مِن عدمها وأعرض المشروع كله للخطر، ففي سفرك مرة دبرنا اختطافكَ ثم الاستحواذ عليك بعدها وهذا ما تم، وكان مِن مميزات الاستحواذ أن مَن يستحوذ عليك يدرك علمك وذكرياتك وبعض صفاتك وهذا ما ساعدنا في تأسيس ما نُريد، وفي مرة أصبحت حُرًا لما خرجت مِن سجنك بطريق ما وقتلت الذي يستحوذ عليك مِن سجنك، وكنت وقتها دون فائدة فنلنا مِنك كُل شيء نحتاجه، فتركناك وعدت تذكر أيامك في السجن على أنها حُلم في غيبوبة وكان داعم ذلك سيارتك التي وُجدت في الطريق يوم اختطفناك- .

سقط (عامر) على ساقيه فنثر التراب حول مسقطه وأنفاسه مُتقطعة، تذكر ذلك الحلم وما فيه مِن ثقل نفسي عليه وذكرى مريرة، قال بصوت خفيض كالهمس وهو مُطرق رأسه للأرض:

- -يعني السجن والغراب والحارسان والشخص بشرفة القصر الذي أقتله ليس حلمًا بل كان واقعًا- .

أومأ (ويليم) برأسه وملامح التأسف تعتلي وجهه، والآخرون في رأسهم

الأسئلة تهاجمهم كالسيل دون أن تجد سد الأجوبة، فغرقوا في حروفها دون حديث .

انحنى (ويليم) حتى صار يواجه (عامر) في مسقطه وقال له بصوت عالٍ يرتقي لمسامع البقية:

- -أخبرتك بالكثير مِن الحقائق ويجب أن تُصدقني وتثق فيّ، الآن يجب أن نُكمل، إن دمي خالٍ مِن السواد، سنكمل بوضع دمي جانب رماد الغراب ونفتح الباب ونحصل على ما نريد- .

(٣٣)

امتطى (أيمن) الحصان الذي يقف خارج القصر، قرر الذهاب لكل القصور حتى يأتي بقصر (نور) ويحدثها وجهًا لوجه .

في طريقه مرّ بأشخاص يزرعون بإحدى المزارع بجانب قناة مِن البحيرة التي كانت موجودة على الخريطة، رمقوه باندهاش ثم ما لبثوا أن انكبوا على العمل متظاهرين بعدم الإهتمام .

بعد مدة وجيزة وصل لقصر يشبه قصره بل قد يكون متماثل، تردد (أيمن) في كيفية الدخول والمواجهة مع مَن بداخل القصر، وما السبيل لمعرفة مكان (نور)، لكنه قرر الدخول .

نزل مِن فرسه ودلف بحذر مِن باب القصر، ولأن القصر مثل قصره، فاتخذ مِن ذاكرته خريطة ترسم خطوط الطول ودوائر العرض الخاصة بها، يمشي بخطاها الوهمية الخفية في عقله، فاستقرت خريطته بسهم قد أشار على الطابق الثاني داخل الحجرة ذات البهو الكبير .

عرج مِن سلمه إليه، قبل أن يدخل الغرفة أحس بوجود أحد بالداخل، أخرج حجر قد طواه في ملابسه استعدادًا لأي مواجهة قد تأتي، وها هي تأتي .

دخل أصابع قدمه بالكاد تُلامس الأرض، يسترق منها الخطوات بهدوء لص ماهر، اقترب مِن الشخص الذي يولي له ظهره أمام كرسيه:

- -كُنت أنتظرك- .

أوقفته هذه الجملة رافعًا حجره فتظنه كتمثال حُجّر لتوه، استدار ذلك

الشخص الذي أمامه وقال له:
- -سأرشدك إلى (نور) بشرط واحد- .
أحس بدنو هدفه فسأله بلهفة:
- -وما هو ؟!-
- -أن تقنعها بالتخلي عن قواها وترجع كما كانت- .
اندهش (أيمن) من مطلبه فسأله:
- -وما مصلحتك في ذلك ؟!-
- -مصلحتي بسيطة وهو خلو الساحة لي أمام أباجير- .
- -وما أدراني أن هذا ليس فخًا ؟!-
ضحك ذلك الرجل وقال له وهو يشير خلفه:
- -لو أردت بك سوء لفعل الحارسان خلفك- .
نظر خلفه فوجد حارسان يرتديان ملابس قديمة، ليست قديمة مُهترئة بل قديمة الهيئة، يحملان سيفان في جوارب بجنبيهما .
فأعاد وجهه شطر مُحدثه وقال له:
- -أرشدني- .
أخرج الرجل خريطة مِن خصره، أعطاها له ففض لفافتها المعقودة بحبل بسيط، ورست أطرافها على كفيه كانت الخريطة تشبه التي شاهدها في قصره باضافة نقطتين بلون أحمر وسهم يصل بينهما، قال الرجل شارحًا له ما يراه على الخريطة:
- -هذه النقطة التي نحن بها الآن (أشار على قبة في الدائرة الكبيرة) والأخرى هي قصر (نور) (أشار على قبة في الدائرة الصغرى)- .
وأتبع:

- -كما ترى لا تبعد إلا مسافة قصر من الدائرة الكبيرة للدائرة الصغيرة وقصريين في الدائرة الصغيرة نفسها- .

تمعن (أيمن) في الخريطة حتى حفظ ملامحها وطواها في خصره وهم أن ينطلق، أوقفه الرجل بقوله:

- -تذكر أن هذا المكان له زمن خاص به، كلما أسرعت كلما اقتربت مِن هدفك، فلا تعرف الساعة هُنا كم تزن في الواقع- .

أكمل سيره فأفسح له الحارسان الطريق، بينما هو يغادر دخل شخص آخر يرسم ابتسامة على شفتيه، تقابل مع (أيمن) عند باب الغرفة وسلّم عليه وقال له:

- -ألا تعرفني ؟!-

تبيّن مسمعه فلم يعرفه، فأجابه:

- -مَن أنت ؟!-

- -أنا العقيد عصام- .

(٣٤)

حالة مِن الفوضى تعُم العالم .
عمليات السرقة والنهب والسلب والقتل والنهش والانتقام والفرار وغيرها تشيع في الأرض فسادًا مما حالت إليه مِن اضطراب، فالقاعدة ثابتة -عندما تسقط البلاد في هاوية الفوضى والتخبط تنضح باللصوص والقتلى- .
فأتى على أخضره ويابسه، برأت النفوس مِن مبادئها حين انبسطت يد السلطة عنهم قليلًا .
زمام الأمور تم السيطرة عليه في دول، وأخريات زمامها انفلت حتى سقط بنطالها كاشفًا عورتها المشينة ونفوسهم الكريّهة .
غير ابتلاء الزلازل والبراكين والفيضانات، فحتى الدول التي أعلنت تباعيتها لأباجير تُعاني مِن هذه الموبقات أشد المعاناة، فتنشق البيوت وتتصدع الجسور وتنهار الأبنية الضخمة، وينزل وابلها على رؤوس الناس فتحصد أرواحهم وتفض التئام جراحهم وفقد أحبابهم، الأرض أصبحت كالمجنونة تدمر كُل ما عليها .
كان بإمكان أباجير أن يوقف كُل ذلك - على الأقل – بإتاحة فرصة للدول الغارقة في الظلام بقول موقفها بعدما عاشت عشر ساعات دامس ظلامها، لكن آثر أن يلتهموا جرعة الدواء كلها – كما يظنها – حتى يبرأ منهم الداء ويشفوا منه .
وحتى ترى الدول الليلية الآن التي تتشاور مجالسها ما الذي سيحولون إليه بعد ساعات قليلة، وما يجرهم جرًا للاستسلام هي الدول التي خرجت

مِن الظلام إلى الليل فظلامها فُرض على مقربة مِن الساعات الليلة، فأعلنت فورًا استسلامها بعد جرعة بسيطة من الظلام، الذي ما زال يعشعش في بلاد كثيرة، تلاحق سماءها للوصول لليل، تشتاق للرؤية بعدما أُعميت فجأة

أما في مصر موطن أباجير ومركز العالم الذي يتبلور، فالأمور مستقرة نسبيًا عن بقية العالم، وخاصة بعد تقديم الولاء مِن رجال المال والشركات والمصانع والأمن والنفوذ لأباجير كي ينضموا تحت لواءه سريعًا ويخدموه في تسير أمور الدولة هذه الأيام، ولكن لم تخلُ مِن بعض الزلازل المخطوطة بضعف على مقياس ريختر، فما فعله هو تناسب الزمن للأفراد الذين يقبعون داخل المربع الكبير الذي يسمى مصر، فيشعرون بالساعة كما هي، لكنها تساوي في باقي العالم أكثر من ساعتين ونصف الساعة .

فتأتي النتيجة لأباجير ومَن معه بسرعة عن التباطؤ الذي يعيشه العالم .

(٣٥)

أنهكوا مِن رفع الحجارة من أمام الباب، حتى عرفوا أن أيديهم وحدها لن تجدي نفعًا أمام ثقل الأحجار المنغرسة في الأرض، فاتصل (ويليم) ببعض جنوده طالبًا أن يأتوا لهم في موقعهم ومعهم أدوات لازمة لتفتيت ونزع تلك الأحجار .

جلسوا أمام الأحجار على الأرض، كُل منهم تشغله آلالاف الأسئلة فتحيك له الشكوك والظنون في الآخر، سألهم (وائل) سؤالًا نقض تفكيرهم:

- -لماذا تفعلون ذلك ؟!-

وأتبع وهم ينظرون له:

- -العالم كله يسير نحو أباجير بالرضوخ، لِمَ أنتم عكس هذا التيار ؟! ما يجعلكم تسلكون هذا السبيل ؟! ما الذي يجعل كُل واحد منكم يخاطر بحياته ؟!-

ران الصمت للحظات، قطعها (ويليم) وهو أول المُجيبين:

- -شعرتُ أني أخطأت وأني السبب فيما يحدث، ولا أُخبئ عنكم بشكل قومي خاص، كي لا تتحمل بلادي جريمة مثل تلك ولا تكون عليها وصمة عار- .

- -وإشاعة الفوضى في بلاد أخرى ليعانوا هم وتكسبوا أنتم، ليست وصمة عار ؟!-

قالتها (ملك) فأطرق (ويليم) رأسه في الأرض وقال هامسًا:

- -كُل منا له وجهة نظر- .

ثم رفع وجهه ليواجهها قائلًا:
- -وأنت لماذا تفعلين ذلك ؟!-
رفعت كتفيها ومطت شفتيها قائلة:
- -وجدتُ أن مِن الخطر علي وعلى والدتي المكوث بغرفتي، فتعلقت بهم حينما آتوني- .
أدار (وائل) دفة السؤال لـ (مُراد) فأجابه:
- -في البداية كُنت أريد فقط إنقاذ العقيد (عصام) بعدما أجحمته بالمساعدة في القضية، ومع هذا الهدف وجدتُ نفسي هُنا معكم كي أنقذ العالم- .
فالتفت (وائل) إلى (عامر) ففهم أن حان وقت إجابته فقال بعد صمت قصير:
- -لا أعرف- .
وأتبع:
- -لو سألتني منذ ساعات فقط لأجبتك إجابة مُتقنة عن القيم والمبادئ والواجب وكُل هذه الشعارات . . أما الآن فلا أعرف- .
تفهموا حديثه وإن بقيت بعض زخات شك تنهار مِن سُحب الظنون برؤوسهم، نظروا جميعهم إلى (وائل) مُنتظرين إجابته، فهو مُطلق السؤال وآخر المُجبين فقال مُتحمسًا:
- -أنا في هذا الأمر مُسيرًا لست مُخيرًا، جاءتني الرسالة التي تحوي القضية ومن ثمَّ اختطفتني (نور) وبعدها جاء (عامر) و (مُراد) لإنقاذي، وسرتُ مع التيار مُجبرًا- .
صمت لوهلة وأتبع بابتسامة حالمة:
- -لكن عندما فكرت بالأمر من زاوية أخرى رأيت أنني يمكن أن أكتب

أفضل شيء قد خططت يومًا، تحقيق صحفي رائع عن مُنقذي العالم مِن أباجير، بل قد أحولها لكتاب كامل الأركان- .

قالها وهو يتخيل نفسه على غلاف كتابه رافعًا رأسه، ثم تخيّل الناس يتهافتون على الكتاب في المكتبات، وفي حفل توقيع كبير في بلد أجنبي تتهافت عليه الفتيات الشقروات ويقلن وهن يحتضننه - هذا منقذنا يا للروعة - وسط بريق الكاميرات المُنتشرة حوله .

أفاق مِن أحلامه الواهنة على صوت احتكاك إطارات سيارة بالرمال بالخارج، فها قد أتى الجنود ومعهم مُعدات تفتيت الصخر .

(٣٦)

انطلق (أيمن) بحصانه ورأسه تلتهب مما قاله (عصام)، يشغله سؤال يضرب رأسه بلجام التفكير -هل ما سيفعله هو الصواب ؟! -

هز رأسه كأنه يريد نفض السؤال مِن رأسه، وليسير في هذه الأرض العجيبة التي يرمح فيها بحصانه الجامع على خط يجب السير عليه، فخطى بخط مستقيم نحو القلعة المُقابلة في الدائرة الصغيرة، ومر بجانبها بسلام، قابل في طريقه بعض العاملين في الأراضي الخضراء وبعض يحملون على دواب منتجات الأرض وقبلتهم نحو القصر الثاني بعدما أوصل ما يريد إلى القصر الأول في طريق (أيمن) بالدائرة الصغيرة .

وصل مد بصره إلى القصر المُشار إليه في الخريطة بلون أحمر وهو قصر (نور)، فتوقف بحصانه وتباطأت حركته وتوقف تمامًا عندما رأى حارسين يقبعان على باب القصر، أيشتبك معهما ؟! أم يغمض عينيه ويحدث (نور) ؟! ربما تفر أو تجعل الحارسين يشتبكان معه بأمرها، ودون ذلك يجب أن يصدمها بوجوده ليترك ذلك لهيبًا يسهل به إزالة ما يريد والتأثير عليها بقوة ودون ترتيب مسبق منها .

هو والأسئلة تحيطه مرّ بجانبه العامل الذي يوصل المنتجات إلى القصور وهو على بغلته، اقترب منه بحصانه حتى أوقفه، فقال له:

- -أريد ملابسك- .

ارتاب العامل مِن قوله، فلم ينبس كلمة ولم يحرك ساكنًا، طفق (أيمن) يقترب منه بهدوء فزاد العامل قلقًا وارتيابًا حتى فلتت منه صرخ فوثب

(أيمن) من حصانه وانقض عليه واقعان معًا على الأرض وبعض المُنتجات تهوي بجانب مسقطهما .

ألجم ثغره بيده حتى لا يخرج مِن أغواره ما يفسد مهمته، وقال له بهدوء:

- -لا أعرف إن كنت كائن حي مثلنا أم لا، لكني لا أريد أذيتك في كل الأحوال، أترك لي ملابسك وسأعطيك ملابسي وترحل مثلما جئت، اتفقنا ؟!-

أومأ برأسه وصوته يخرج مكتومًا بين ثنايا يد (أيمن) فسحب يده مِن عليه بهدوء فعاد يصرخ باسم أحدهم فعاجله (أيمن) بضربة من حجر من الأرض.

فصمت وخفت حركته لكنه مايزال حيًا، زفر (أيمن) بشدة وارتاحت قسماته بعض الشيء، وسحب نفسه مِن أعلى جسده وسحبه خلف حصانه ليتحصن مِن عيون الغير، وراح يبدل الملابس مِن جسديهما .

هندم زيّه الجديد وأعاد ما سقط من منتجات على البغلة وركبها وسار بها نحو القصر المنشود .

وقف أمام باب القصر والحارسان يطالعانه، فكر كم يحمل من المنتجات، لم يجد إجابة فلام نفسه أنه لم يراقب العامل وهو يوصل المنتجات للقصرين السابقين .

نزل من مركبه بتوجس وهو ينبش في المنتجات، فاقترب منه أحد الحارسين قائلًا:

- -لم أرك مِن قبل ؟!-

انعقد لسان (أيمن) للحظات ثم أجاب دون أن يستدير له وهو يمسك ببعض المنتجات:

- -نعم فأنا أعمل بالحقل دائمًا، لكن اليوم أخي مريض فنبت عنه في وردية توصيل المنتجات بعدما أنهيت العمل في الحقل- .

ثم استدار لهما وهو يحمل بعض الخبز واللحم والماء واللبن، فنظر لعيني الحارس فلم يجد بريق الشك، همّ أن يدخل داخل القصر فأوقفه الحارس الآخر قائلًا:

- -كان أولى بأخيك أن يخبرك بعمله جيدًا- .

تفصد العرق من جبين (أيمن) بعد هذه الجملة، فقبض على خنجره استعدادًا لمواجهة مُحتملة الحدوث، أتبع الحارس قائلًا:

- -قلل من هذه المنتجات قليلًا فليس لدينا سجين- .

تنفس الصعداء كأنما قبض على أكسير الحياة بعدما أرهقته، رجع للبغلة وخفف من حمله قليلًا ودلف سريعًا لداخل القصر بمحاذاة الحارسين، فنزلوا للقبو فرمق السجن فارغًا، ثم أشارا له بوضع ما يحمل على مسطبة قليلة الارتفاع بجانب السجن، ففعل وجلسا هما يفضان لفافات الطعام بعدما أشارا له بالخروج .

صعد سريعًا للطابق الثاني، ودخل الغرفة التي بها، شهقت (نور) لمرآه أمامها، دق قلبها بعنف، مِن مفاجأة الموقف والشخص على حد سواء، ران الصمت للحظات مُخاطبًا إياها بلغة العيون ففض الهوى رسائل النظرات وما يستكين فيها مِن العشق، قال (أيمن) وهو يزفر بقوة كأنما يخرج كُل ما يحمل من ضيق قبل حديثه لها:

- -أرقهتيني يا (نور)- .

(٣٦)

حول قصر أباجير يوجد عشرات الآلاف من العوام الذين أحالهم زيهم الجديد وسيوفهم إلى جنود يحمون القصر وينظمون حركته وحركة الوافدين نحوه، دلفت مجموعة دبلوماسية الهيئة، رفيعة المستوى، وسط حراسة بعض أبناء أباجير أنفسهم، صُبت وجوههم بالإرهاق حتى كادت تقطر تعبًا، سقط أحدهم مُغشيًا عليه، فما حال سقوطه عن إكمال طريقهم، فور طمأنتهم مِن أحد أبناء أباجير أنه سيذهب به لطبيب القصر ويريحه بإحدى الغرف حتى يمسك وعيّه وينضح بالصحة .

عرجوا بهم إلى حجرة أباجير وقد وضع في منتصف بهوها طاولة كبيرة تأخذ شكلًا بيضاويًا توزعت مقاعد وثيرة بمسافات متساوية، أجلسوهم على الطاولة فملئوا بأجسادهم وعددهم الكبير ثلثها .

كان أباجير أعلى قبة قصره يراقب مِن المرايا العالم، الدول التي ما تزال في الظلام والدول التي استسلمت فهلّ فيها الصباح، والتغيرات البحرية من انحسار المحيط مِن مكانه وارتقائه للقطبين وخاصة القطب الشمالي الذي أذاع فيضانات جمة في الجزء الشمالي مِن الأرض وانحسارات كثيرة من سواحل مثل شاطئ ميمامي، وطفقت تتآكل أطراف أوروبا وأمريكا الشمالية تحت أنياب المياه الطاغية مما قد يؤدي قريبًا إلى غرق مُدن حضارية كبيرة مثل موسكو ولندن وبرلين، وحركة نزوح عامة من ريو دي جانيرو وسنغافورا وغيرها لاضطراب الهواء فيهم، وأشياء كثيرة زهد أباجير عن تتبعها عندما علم بقدوم تلك المجموعة، فهوى لشرفة الحجرة فرمقوه

وهو يهبط ويتقدم نحوهم فنصبوا طولهم فزعين متوجسين، وفي قلوبهم رهبة منه .

جلس على مقدمة الطاولة على مقعد صُمم خصيصًا له ولجسده المفتول الضخم، جلس الوفد تباعًا بعد جلوس أباجير، كان الوفد تتنوع فيه الألسنة لكنهم قرروا توحيد لسانهم لرجل يجلس أمام أباجير من ناحية اليسار، رجل أوروبي الملامح يُجيد العربية جيدًا، بادره أباجير بالسؤال:

- -كيف كانت رحلتكم ؟!-

آجاب وهو يزفر من فرط التعب:

- -كانت رحلة موت- .

ابتسم أباجير ابتسامة ماكرة تظهر انتشاءه بإجابته التي تشبع غروره، أتبع ذلك الرجل:

- -البحر المتوسط كان هائجًا في موقع وضحلًا في آخر، نحمد الله أننا وصلنا دون فقد أحدنا وقبل أن يعم الظلام بلادنا، لكننا نشعر بإرهاق وإعياء شديدين للغاية حتى سقط أحدنا بالخارج- .

قال أباجير وهو يرمقه بعينين يلتمع بهما بريق الطرب:

- -هذا لأن مَن يدخل مصر يشعر بتناسق الزمن عن بقية العالم، فهذا الفرق أرهق أجسادكم وما فيها مِن أعصاب- .

أومأ برأسه متفهمًا وهو يريح ظهره على مسند المقعد، عاد للحديث الذي أتوا إليه بعدما سأله أباجير عن سبب طلب لقاءه:

- -نحن مجموعة تشمل جميع المجالات الحديثة في الحياة، أمن، صناعة، سياسة، علم، فلك، إعلام، وغيرهم، جميعنا في أرقى المناصب الدولية في العالم، أتينا لكَ بأنفسنا لنكون لك عونًا ومستشارين في أمور الدولة الحديثة-.

صمت لوهلة وأتبع:
- -بالطبع نحن نعرف قدرك على إدارة الدول وتنميتها، لكن كما تعرف الزمن غير الزمن، ونحن فقط نقدم لك الاقتراحات ليكون لك القول القاطع بها- .
قام أباجير من مجلسه والعيون تتعلق به، سار نحو الشرفة مُوليًا ظهره لهم ونظراتهم تتشبث به حتى كادت تنسدل ظلًا يلازمه .
قال بصوت عالٍ يصل لمسامعهم:
- -لكم مني الأمان والسكن والمأكل أنتم وعوائلكم الذين ينتظرونكم بالخارج، وأي شيء تريدون اقتراحه ابعثوا به إليّ مع أحد أبنائي، حتى تستقر الأمور وأنظر في أمركم قاطعًا إياه- .
سبر أغوار خوفهم فارتاحت قسماتهم وهدأت نفوسهم، دخل أحد أبناء أباجير البهو مُشيرًا إليهم بالخروج بابتسامة صلفة، بدأوا ينسلون مِن مجالسهم إلى الباب حتى أوشك نضوب المقاعد منهم، قال ذلك الرجل لأباجير وهو ينهض:
- -أريد أن أقول ملاحظ . . . لا سؤال لم . . . .-
بتر اكتمال سؤاله بقوله:
- -لماذا أُسلّح جنودي بالسيوف والسهام والأدوات القديمة ولا أزودهم بالحديث ؟!-
أكمل أباجير دون أن يأتيه التأكيد:
- -لأن أسلحتكم هشة ضعيفة أمامي، ربطتم أنفسكم بها حتى ما عدتم تدركوا الحرب دونها، أما الأسلحة القديمة لا رادع لها، صناعة سهلة لها أثر على النفوس كالسيل فمرأى السيف حين تترقرق منه الدماء يساوي أضعاف

طلقة تتسخ بها- .

همّ الرجل بالرد ومن حوله يشاهدون نقاشهم:

- -الأسلحة الحديثة مصممة على ثبات الطبيعة وحضرتك غيرت وقلبت طبيعة العالم، لم تُغيّر شيء صنعه الإنسان، ربما يأتي أحد يغير القوانين الجديدة للطبيعة- .

ابتسم أباجير ورفع هامته عاليًا وقال بثقة صلفة المعبر:

- -حينها ستصبح المعركة مُتكافئة- .

(٣٧)

آزالوا آخر الأحجار المُعرقلة أمام الحجرة، امتلأ الحيز الذي يواجه الحجرة بالضباب الأبيض الخفيف من غبار التحطيم والتفتيت وامتزج مع أنفاسهم حتى سعلوا .

اقترب منهم (ويليم) وهو يترنح بعض الشيء من أثر فقدانه للدماء التي تملأ القنينة ويرتج سائلها وهو يحملها، أخرج (مُراد) قنينة الرماد ووضعها في ثغرها بالباب وتبعه (ويليم) بوضع دمائه، امتص الثغر الدم كأنه يشق به قناة حتى أتى عليه، وطفق الرماد يُبلتع كأنه ساعة رملية قديمة فأشارت على تمام الموعد فُفتح الباب .

دخلوا الحجرة وضوء المشاعل يصاحبهم ويشيع النور داخلها، رامقين كُل ما فيها لعلّهم يتبينوا شيئًا، كانت الحجرة متوسطة الحجم فلم يأخذ تجوالهم وقتًا طويلًا، فجأة، سمعوا صوت انغراس شيء في الأرض، فوجدوا حجرًا كبيرًا بيضاوي الشكل، مُدبب الغرة ومتلاحم مع الأرض، لا يعلمون أهوى مِن السقف أم انبثق من الأرض !!

تقدم أحد الجنود بآلة لتفيت الحجر من حوافه فمنعوه حتى لا يدرك رمح الآلة ما بداخلها فتفسده، جلبوا حجر مُدبب مُلقى في ركن ما، وظلوا ينحتون في الشرنقة الصخرية حتى يتبين لهم ما داخلها، بعد مدة ليست بالقليلة، استطاعوا طرد كُل موطن للحجر فأزاحوا عنها هيئة الشرنقة وأصبحت شكلًا مستطيلًا صغير الحجم، ثقيل الوزن، أسود اللون، أوجهه خالية مِن الملامح إلا من زر في منتصف أحد وجوهه، نظروا لبعضهم وذلك

الشيء في يد (عامر) .
ضغط على الزر فران الصمت لوهلة، ثم علا صراخ (مُراد) وسقط أرضًا وهو يضع يديه على عينيه، نزع (عامر) ثقل إصبعه عن الزر فهدأت صرخات (مُراد) في مسقطه والجميع في صدمة وذهول، أبعد (مُراد) يده عن عينيه فكشف عن عينين قد اكتمل بدرهما حُمرة، دوى في الأرجاء صوت غراب يحلق بسماء الكهف، بينما هما في تبين الصوت طوى (مُراد) المسافة بسرعة وأمسك بتلك الآلة المُستطيلة، واعتمر الغراب كتفه، نظر لهم بأوراق منتشية ساخرة
بغتة تحول لخيوط سوداء قاتمة وفرّ عن العيون خارج الكهف .
بين العيون المُشتتة، نظر (ويليم) و (عامر) لبعضهما، ابتسما وضحكا بشدة وتعانقا!

(٣٨)

أمرت (نور) الحارسين أن يظلا بالخارج ولا يدخلا القصر إلا بإذن منها، فأخذا بقية طعامهما وانتصبا على الباب كما قالت .

استدارت لـ (أيمن) متوجسة مِن مقابلة عيونهما، فنظرة العشق تغلق الجفون على وجل واضطراب له مذاق حلو، وهمس قلبيهما له لغة خاصة تُسمع إذا أصغيت .

واجهته بوجه رسمت فيه الجدية بفرشاة تحمل لون لا تحبه أن يكون أمامه، فقالت له وهي تطرق بعينيها بعيدًا عن نظراته كلما تقابلا:

- -لماذا جئت ؟!-

تقدم صوبها بأقدام ثابتة فاضطربت خطواتها وتلعثمت خواطرها ولُجم لسانها تحت وطئة مسيره مهيب قلبها، حتى صار أمامها مباشرة، أغمض عينيه وقال لها وهو يستنشق طيب رحيقها:

- -ما رأيكِ أن تشاركيني الظلام ؟!-

توجلت للحظات حتى فهمت ما يرمي إليه، فأخذت نفسًا مُتقطعًا وأغمضت عينيها هي الأخرى، أمسك بيدها فارتعدت فرائسها وخفق قلبها بعنف، مال بجسده وتقدم خطوة حتى صار بجانبها وأيديهما متشابكة كُل يد تحمل خمس أرواح متعانقة تتشبث بملمس الطمأنينة والسكن في الأرواح المقابلة .

سارا بهدوء في بهو الغرفة دون خوف لكن لم يستأنساه لمرارة الحياة داخل هذا البئر العميق الذي لا سقف له تتشبث به للخروج ولا قرار تهوي عليه

فتهتدي إلى الخروج، ما يجعلهما يحتملان هذا الجبّ المظلم هو سقوطهما معًا فيه، قال (أيمن) وهما ما يزالان يسيران:

- -لم تحبي الظلام يومًا، فلماذا ساعدتي في نشره ؟!-

قالت بصوت حنون:

- -أنت لا تفهم شيئًا، كُل شيء سيكون على ما يرام وأفضل، هذا مِن أجل العالم والبشرية- .

- -سيتخلص منكم- .

قالها (أيمن) فتوقفت نور عن المسير، وهي تتبين كلماته وتجول في ذهنها، فأتبع:

- -سيتخلص منكم بمجرد أن يأتي برجال غيركم يديرون شئون دولته، فأنتم القوة الوحيدة التي يمكن أن تواجهه، سيقتلكم ويعيد أبنائه إلى سجونهم- .

قالت بنبرة معترضة:

- -لا لا، أنت لا تعرف أباجير مثلي لا يم . . . .-

بتر كلامها قائلًا بصوت عالٍ مُستنكر:

- -أنت مِن أين تعرفينه ؟! مِن مجرد أخبار وأفلام عن حضارته في مكان التدريب ذلك ؟! إنه لا يأبه لأحد سواه، هو يريد أن يكون أباجير العظيم حاكم العالم، لا يريد أن يحقق عدلًا ولا سلامًا، يُريد أن يُذيع خوفًا ورهبة منه- .

كادت تجيب لكن وأد حديثها في مهده:

- -ألم تسألي نفسكِ لِمَ لم يخرجكم من الأرض القديمة التي نحن عليها الآن؟! أليس هذا المكان هو السجن الذي سجنه به الكهنة؟! قد أخرج نفسه وقصره من هنا تمامًا وأنتم لا، هذا كي يقتلكم ويعيد سجن أبنائه بسهولة

ليخلو العالم من أي منافسين له قادرين على ردعه- .
أمسكت جبهتها وفي رأسها تجول الأفكار والتساؤلات وتزيد من لهيب حيرتها وصدمتها من حدوث ذلك، قال (أيمن) وصوته بدا بعيدًا لها:
- -ما سيُأكد لكِ حديثي هو قتله لأي أحد منكم وقت ما تسمح له الفرصة ويُبسط له السبب- .
فجأة فتحت عيناها بوجل وخوف، سحبت يدها من عناقها، وقالت في اضطراب:
- -إنه يناديني يجب أن أذهب إليه- .
قبل أن ينبس بكلمة اختفت من ناظريه، قرر هو أيضًا الخروج من هنا، فأغمض عينيه وأراح أعصابه وتركيزه، فأفاق يتلفت حوله ووجد نفسه على كرسي بغرفة السفارة، هتف في الجنود بالخارج وطلب منهم طعامًا فقد تضور جوعًا، لا يدري إن كانت شدة جوعه قد نبعت من إجهاده في الأرض القديمة أم من طول المدة في الواقع، جاءوه ببعض الطعام الأمريكي المُعلب، قبل تناوله سأل جالب الطعام عما وصل إليه الأخرون، فقال له:
- -كُل شيء يسير حسب الخطة- .

(٣٩)

هبط (مُراد) أمام بوابة سور قصر أباجير، فتحول من كتلة سوداء كاحلة إلى جسد سويّ، سمحوا له بالدخول فمر بالساحة أمام القصر ودلف لبهو القصر والمرايا المنتشرة به تعكس صورته كأنما ترمقه، ارتقى لدرجات السلم حتى بلغ غرفة أباجير، فانحنى أمام أباجير وهو جالس على كرسيه، ابتسم أباجير في زهو مهيب، رفع (مُراد) الآلة الراسمة والآلة المُستطيلة أمام أباجير في موقع انحنائه، فأشار له أباجير بوضعهما على الأرض ففعل وهبط بها بهدوء، نهض أباجير من مجلسه وربت على كتف (مُراد) بعدما قام وقال له:

- -أحسنت- .

ثم هتف باسم أحد أبنائه فجاء وقال له:

- -اجمع مَن في القصر من أبنائي، واترك مَن على السور كما هم- .

أومأ له، وسرعان ما جاءوا واصطفوا بجانب بعضهم، كان عددهم تسعة أفراد بينهم (عصام) و (نور) وانضم (مُراد) لصفهم، ضغط على زر الآلة المُستطيلة فصرخوا جميعًا كأن أحدًا صبّ حُمم على أعينهم حتى سقطوا من فرط الألم، نزع أباجير إصبعه من على الزر، فنظروا له لاهثي النفس وجدوا عليه بعض ملامح الألم مُختبئة وراء قناع الصمود، قال لهم:

- -هذا ما أرهبكم به الكهنة تطلق أشعة ما تؤثر على العيون فلا تجعلكم تسحبون الضوء، قد رأيتم ألمها بعين الحق، الآن أخلصكم منها- .

رفع الآلة في الهواء فقفزت بحركات ملتوية، استلّ أباجير سيفه من جانبه

وهجم عليها به، قاطعًا إياها فسقطت نصفين قد صُهرت حوافها من أثر الافتراس القوي لوحدتها .

أمر أباجير (عصام) بأن يأخذ النصفين ويحرقهما، ثم أمر البقية بالانصراف عدا (مُراد)

جال أباجير حول (مُراد) مرات متتابعة كصقر يحوم حول فريسته، أمسك بالآلة الراسمة وقال له:

- -كيف كانت تعمل معكم ؟!-

فأجابه:

- -بمفردها، فجأة نراها ترسم على الورق- .

رفع حاجبيه انبهارًا بتلك الآلة وقال له:

- -يبدو أنها دقيقة وصادقة للغاية- .

وأشار له بورقة كانت في مقدمتها، تحتوي على مشهد الكهف بنتوءاته وكتلة سوداء تفرّ لخارجه، فقال (مُراد) والدهشة تعتلي ملامحه:

- -من الجيد أنهم لم يروها- .

ترك أباجير الآلة على طاولة بجانب الحائط، أشار لـ (مُراد) بالتقدم صوبه، ففعل، فقال أباجير وهو يعتمد بكفيه على الطاولة ويُولي ظهره له:

- -أتعرف أكثر الأشياء التي أكرهها ؟!-

تباينت عليه ملامح عدم الفهم وقبل أن يرد أجابه أباجير:

- -الخيانة- .

عاجله بضربة قوية في صدره بحد السيف، شهق بعيون فزعة وهو يرى السيف ينغرس فيه بقوة، فقال بأنفاس لاهثة:

- -خنتهم لأجلكَ- .

قال أباجير بهدوء لا يناسب الفزع الذي تجسم أمامه:
- -قد تخونني لأجل آخر- .
دفع السيف حتى تجذر فيه واخترق أرضه وشهق نفس أخير محموم، فانتهى كتابه على صفحات الخوف والألم، كان كالفراشة التي اقتربت مِن النار لتهتدي بنورها فأحرقتها .
انتزع منه سيفه فسقط جسده على الأرضِ والحياة تنضب منه، لمح قلم الآلة الراسمة ترسمُ شيئًا، انتبه لها واقترب منها بهدوء، هدأ قلمها واستقر بمكانه وكشف عن رسمة أفزعت قلب أباجير، فكانت الرسمة لأباجير وهو مسجى على الأرض بجسده الضخم وحوله الكهنة وفؤوسهم مزروعة فيه .
انتابه الغضب فأخذه لدهاليز الاضطراب يهاجمه فيها الخوف بضراوة، سقطت قوته أمام نفسه، قال بجنون الحركات الوجلة:
- -كذب كذب، هذا لن يحدث، هذا لن يحدث- .
أخذ يضرب الآلة بقدمه بقوة حتى اندثر القلم تحت فُتاتها، وقطّع أوراقها حتى مزقها، جلس على كرسيه وهو يلهث وأحداقه تكاد تتمزق بين جذب الاستنكار والتصديق .
همس لنفسه وسط أنفاسه المُتقطعة:
- -إن أعادوني للسجنِ مرة أخرى، فسأجعل غدًا ذكرى لا تُنسى للبشرية أبدًا- .
هتف على (نور) فأتته مسرعة، تفاجأت للدماء المُنسلة مِن (مُراد) والتجويف الذي في صدره قد تعمق كبئر سحيق حوافه امتلئت بالدماء، ارتعشت يداها وخطاها، نظرت له بعيون واسعة قد باعد جفونها الفزع، قال لها غير مُلقي بال على خوفها:

- -أأمري قائد الجنود بأن يضاعف عددهم ومُوريدي الطعام والشراب وعدة الحروب أن يزيدوا في الإنتاج اليوم والغد، واجمعي أمهر المهندسين يعملون من اللحظة على علو السور حول القصر .

خرجت دون أن تنبس كلمة، وظلّ حديث (أيمن) عن قتلهم يجول برأسها .

(٤٠)

راحت تتقافز الأحجار الصغيرة في الهواء فوق رؤوس كُل الموجودين في الكهف، كلما احتموا في شيء عاجلتهم (ملك) بما تمسكه في يدها من صغار الطوب، امتزج اللون الرمادي بخصلات شعرها وملابسها حتى استحال منظرها إلى المعطوبات في الشوارع، حاولوا تهدئتها فصرخت في وجوههم:

- -أريد أن أعرف ما يحدث حالًا- .

قال لها (عامر) وهو يشير بيده للهدوء:

- -اهدئي فقط ستعملي كُل شيء، اهدئي- .

نظرت له نظرات نارية، أطلقت آخر حجر في كفها نحو الأرض مصحوب بزفير قوي كأنه ينفس عن آخر ما تبقى لديها من طاقة للعنف، فسألها (عامر):

- -بمن تثقين فينا ؟!-

ردت بتلقائية:

- -لا أحد- .

- -إذًا احكِ لها يا (وائل)- .

ذهب (عامر) بعيدًا عنها بعدما ورّط (وائل) في الحديث معها وهو ينظر له بنظرة راجية ألا يتركه معها في هذه الحالة، فتقدم صوبها مرغمًا عنه وقال وهو يحك رأسه:

- -لا أعرف مِن أين أبدًا ولكن . . . .-

صمت قليلًا ثم أعاد مجرى الكلام قبل أن تنفجر فيه:

- -أنت بالطبع تعلمين أن (ويليم) هو من بدأ الأمر باستقطابكم وتدريبكم وما تلى ذلك، وما أُضيف إلى ذلك حديثًا أن (عامر) كان يساعده في بناء الأمور النفسية لذلك التدريب، لكنه لم يكُن مستحوذًا عليه بل كانت المُساعدة بإرادته تمامًا، لكن (عامر) وصل لنقطة معينة ورفض الإكمال وكاد يُفسد كل شيء، فأقدم (ويليم) على الاستحواذ عليه بعدما ساعده، لكن كان هُنالك نقطة لم يتبينها هو أن مَن يعلم بتفاصيل كثيرة عن هذا العالم وتلك القدرات سيستطيع الفكاك من سجنه حتى لو طال الأمد، وهذا ما حدث، استطاع (عامر) قتل مَن يستحوذ عليه، وقتها سبق السيف العزل، فلم يُعد (ويليم) يسطر على أبناء أباجير الخمس المُدربين، وتجلّت مهمتهم في الاستحواذ على الآخرين من أجل عودة أباجير، فتناسى (عامر) ما فعله فيه (ويليم) وقررا التفكير للخروج مِن هذه الأزمة، أيقنا ألا رادع لهم من هدفهم، لكن يمكنهم التخطيط لسجن أباجير بعد عودته، وبعد الكثير والكثير من البحث عن حالات اختفاء مُبهمة، وصلنا إلى (مُراد) الذي اختفى فترة ثم عاد فأيقنا أنه مُستحوذ عليه بإرادته، وعرفا خططته في الإيقاع بالعقيد (عصام) وفي نفس الوقت تنفذ (نور) انتقامها، وكان يجب البحث عن صديق مشترك ليطبقا خطة نسجا خيوطها العريضة، وكنت أنا الصديق المُشترك، بين (عامر) و (مُراد)، جلسا معي وقصا كُل شيء حدث وما ينويان فعله، ففكرنا وخططنا سويًّا، وانبثق من الخطوط العريضة خطوط صغيرة ودقيقة حتى أُحكم كُل شيء، فبدأنا بدعوى (مُراد) إلى الجريدة ويشهد معي حديثي مع (عامر) الذي تطرقنا فيه – عمدًا – إلى قصة أباجير وتخبئة الكهنة لأشياء تمنعه إذا ما ظهر، بعد الحديث مباشرة سأله (مُراد) في فحوى القصة التي تلاها، فأيقنا أنه ابتلع الطعم، وبعد أسئلة

قليلة، ذهب (عامر) بعدما أعطاه كارت به هاتفه، ومن ثمَّ بدأت خطته في الإيقاع بالعقيد (عصام) وإجحامه في القضية ومعها جمّعنا هو بحجة معرفة طلاسم القضية مرورًا بإنقاذ (عصام) وصولًا إلى إنقاذ العالم لنساعده إلى امتلاك الأشياء التي خبئها الكهنة لتقويض أباجير بعدما أوحينا إليه أننا لدينا خلفية عنها في لقاء الجريدة، وهناك خدعة في هذه النقطة لكن سنعود لها بالتوضيح في ترتيبها، وجاءت لنا فكرة الآلة الراسمة التي كانت لنا عونًا كبيرًا في فعالية خداع (مُراد) وأيضًا لها هدف بعيد المدى، المهم أن كلانا يتظاهر بعدم المعرفة، ولزم رحلة ادعاء جهلنا أن نتوقف عندك، لأنكِ صاحبة (نور) وسيكون عندكِ الكثير من المعلومات، وللأسف كان يجب أن تأتي معنا حتى لا تكوني عرضة لأي ضرر منهم، فصرتي معنا مُساقة، وظهر (ويليم) من جديد في الصورة كما تعلمين كيف صارت الأمور، وكان يجب أن يحدث بينه وبين (عامر) صدام قويّ ليؤكد أنه كان مُستحوذ عليه بغير إرادته مُنذ البداية فبالتالي لا يذكره، عناصر الخدع في كُل ذلك وما سيأتي، أولًا الغراب الذي أتى بأول رسالة لنا في بيت (عامر) فكان الغراب غراب عامر، هو قتل صاحبه لكنه لم يقتل الغراب فصار له، لماذا الغراب ؟!، ليتشككوا في الشخص الذي يستحوذ على (عصام) فيضيق عليه الخناق منهم، فيعقدُ (عصام) معه اتفاق الخلاص مِن أباجير وهذا ما تم بالفعل وعلم به (أيمن)، وبعد ذلك كان دور البوم الذي دربناه على جلب ما نريد فجلب الآلة الراسمة وأرسل لنا الكرة المعدنية في المخزن وأرسل الرسالة الثانية للدلالة على الكهف، والبوم رمز الكهنة قديمًا فيعتقدون أنهم يساعدوننا-

قاطعته (ملك) بعد حديثه الطويل بسؤال:

- -ألم يكونوا يساعدوننا ؟!-

فأجابها:
-هذه الخدعة التي جاء ترتيبها، الكهنة أُناس لقوا حتفهم مُنذ زمن بعيد مَن بقى فقط أباجير وأبنائه في سجنهم، لا أعرف كيف ربما يكونون مُخلدين فيه أو أبعاد الزمن تختلف فعاشوا طوال هذه الفترة، المهم، كان يجب الإيحاء لهم بمساعدة الكهنة لنا، حتى يُرهب أباجير مِن إعادة سجنه، فنحن مَن بعثنا الرسائل، حتى حديثهم عبر المرآة كان عبارة عن آلة بسيطة مُثبتة أعلى المرآة بتقنية سهلة وهي عرض مقطع حي لثلاثة أشخاص يرتدون ملابس الكهنة اتفقنا معهم على تمثيلهم، حتى المشهد الذي عُرض لهروبهم إلى الكهف كان فيلمًا صورناه بمساعدة أفضل مُخرجي أمريكا كي تتأصل فيهم فكرة وجود أشياء تقوض أباجير، وهذا ما سعى (مُراد) له منذ البداية فنجدها بعد ذلك التخبط الذي يراها طبيعيًا ويفر بها وهنا تظهر خدعة جديدة وهي الآلة من صنعنا تؤثر على أعصاب العيون وتؤلمها لفترة محدودة بشكل علمي بإطلاق أشعة ما،اخترعه علماء أمريكين كنا نحن نرتدي لاصقات أعين شفافة تمنع هذا الإشعاع حتى الجنود، فآلمت (مُراد) وحده فأيقن أنها آلة الكهنة -
- -لكني لم أرتدِ لاصقات- .
زفر (وائل) بعد جهد حديثه وقال لها:
- -وضعتها لكي عندما هجم علينا البوم في السيارة دون أن تدري، ولا تقاطعيني ثانية لأن هذا يشتت ترتيب الأفكار في رأسي- .
أومأت له فأتبع:
-الخدعة الثانية في تلك الآلة، أن لها فوهة أمامية صغيرة لا تُرى بالعين المجردة، ستطلق أشياء خفية تلتصق على مرايا القصر لتكون لنا معبرًا

لداخله دون أن يدركوا، وصنعنا أيضًا الآلة الراسمة التي تتلقى اتصال عبر الأقمار الصناعية مِن شاشة يرسم عليها أمهر رسامين العالم فتترجم رسماتهم على ورق الآلة، وهم يرون كُل شيء من خلالنا ومن خلال التلفاز وداخل القصر من خلال (عصام) فيتنبئون به فيزيد يقين (مُراد) في دقة ما تتنبأ به وصدق الآلة وبالتالي ينتقل هذا الإحساس لأباجير الذي قد رُسم له مشهده وهو صريع بين فؤوس الكهنة فيدب اليأس فيه ويوقن أنه لا محال عائد لسجنه على يد الكهنة أنفسهم وتحدث الخدعة الأخيرة -

قالت مندهشة مِن كُل هذه التفاصيل بعدما أرهقتها فكريًا:

- -أُهناك شيء آخر نسيت أن تخبرني إياه ؟!-

- -أه شيء أخير سهوت أن أذكره، اسم كاتب كتاب - أساطير المصريات - وليد عمر واكد . . ألا يذكركِ بشيء ؟!-

ران الصمت بين ثنايا تفكيرها، وقالت وقد وجم وجهها:

- -ويليم . . عامر . . وائل-

- -ألّفنا كتابًا كاملًا بكل أساطير المصريات مِن أجل أسطورة أباجير التي لا تتجاوز الثمان صفحات- .

نظرت له باندهاش عارم ممزوج بالإعجاب، فانحنى بظهره وأشار بيده كأنه مايسترو فرقة موسيقية يحيّ جمهوره، فقالت (ملك):

- -يا أولاد الكلب- .

- -ها هو العرق المصري فيها ينضح- .

قالها (عامر) ضحاكًا وهو يقترب منهما، فقال له:

- -وأنت استدعيت عرقك في الفرار- .

هتف (ويليم) عليهم من مهد الكهف قائلًا:

- -هلُّموا، السيارات جاهزة- .

فسار ثلاثتهم بجانب بعضهم لخارج الكهف، سألت (ملك) (وائل) وهم في السيّارة:

- -لكن ما الخدعة الأخيرة ؟!-

ابتسم وقال:

- -ستعلمين في المعركة- .

(٤١)

- -كان معكَ حق يا (أيمن)- .

قالتها (نور) وهي واجمة أمام عينيه المُتسائلة، فأتبعت:

- -قتل (مُراد) ووقتما تحين الفرصة لقتلي سيفعل- .

ربت على كتفها في حنان، وقال لها:

- -يجب أن نعيده لسجنه يا (نور)- .

- -وماذا سنفعل حيال ذلك ؟!-

- -أخبريني أولًا ماذا ينوي أن يفعل ؟!- .

قصّت عليه ما أمر به من زيادة عدد الجنود والعتاد وارتفاع السور، وانجلاء الظلام مِن كُل الدول بعدما أعلنت تبعيتها له، فاقترحت المجموعة التي جاءت له أن يطوف العالم كُله دولة دولة ترهيبًا لهم وتأكيد التبعية والاستسلام، فوافق وقرر مدّ الوقت على الجميع بما فيها مصر ليكون اليوم الثالث والأخير في عهده إلى مئة وأربع وأربعين ساعة، تكفي لطوافه كُل بلاد العالم، وأيضًا لزيادة عدد الجند وتجهيزهم وإنهاء المهندسين عملهم في ارتفاع السور، فقال لها فرحًا:

- -هذا القرار جيّد للغاية لنا، فالزمن هُنا يختلف وما دام مدّ الزمن في الواقع فهذه فرصة رائعة لنفعل كُل ما نُريد- .

فجأة اختفى (أيمن) مِن أمامها فأفاق في غرفة السفارة وهتف في الجنود بالخارج وكتب لهم شيئًا على ورقة وأمر بإخبار (ويليم) بكل ما في الورقة .

جلس ثانية على كرسيه وعاد إلى الأرض القديمة أمام (نور) فسألته:

- -ما خططتنا ؟!-

فقال وهو يفتح خريطة القصور:

- -سنجرد أباجير مِن ذريته- .

(٤٢)

شقت حراب الصباح ستار الليل فتسلل منها ضوء الشمس مُعلنًا مِن اللحظة طوف أباجير العالم أجمع يجمع الهيبة من العيون الرامقة، لموكبه الفخيم بصحبة مَن انتقاهم من الوفد الذي أتاه وبعض أبنائه نحو مركز الحكم في كُل بلد، بدأ بالدول المتقدمة في أوروبا وآسيا والأمريكتين، فعندما يتهاوى الكبار من منحدر التبعية والاستسلام يسهل جمع الصغار، جال الممالك والجمهوريات بمختلف وسائلها والاتحادات والإمارات والولايات .

وما تزال تباعيات بطء حركة الأرض قائمة، ولكن حدث تطور اهتم به العالم في إذاعاته بعد قرار طواف أباجير، وهو ارتباط بريطانيا لأول مرة بالقارة الأوروبية بعدما انحسرت المياه حول جزء مِن يابسه، فيمكن لأي فرد أوروبي الآن أن يسافر لندن بريًا بعدما كانت في عزلة بحرية عنهم .

والنزوح العام مُستمر، خاصة في البلاد التي تقع أقصى شمال وجنوب الكرة الأرضية، فيقابل ملوكهم وزعمائهم في بلاد أخرى غير بلادهم لأن مَن في بلادهم الآن يُعاني من صعوبة التنفس .

والناس في كل مكان بالأرض يتمنون زوال ذلك الكابوس الثقيل مِن على كهولهم، فهم يُعانون من طول اليوم، فينامون ثلاث أو أربع مرات فيجدون الصباح ما زال منصوبًا في سماءهم، الطبيعة البشرية لم تعتَد ذلك قط، واعتياده في مدة قصيرة صَعب التحمُل، فتجمع الموبقات الاستسلام من كُل ربوع الأرض، وتدمر الأعمال والصناعات والحياة بأكملها .

وبينما أباجير في طوافه، يسير العمل على قدم وساق بقصره والحركة دؤوب

حد الوفاة إرهاقًا، فلا أحد يستريح من عمال إعلاء السور، والعمال بالمصانع والشركات الذين يجلبون العتاد والأسلحة والطعام والشراب للقصر وجنده المتزايدين في العدد حتى وصل عددهم إلى مئتي ألف جندي حوله بمختلف الأسلحة الحربية القديمة، وقسمت الخطوط الدفاعية لمراحل كثيرة من العسير تجاوز أولها، وأولها لا يراه مَن يقف في القصر، فمد البصر لا يشمل هذا العدد المهول .

خيّم الليل بعد ثُقل الصباح الذي كان مقداره ثلاثة أيام، والجميع في تعب وإرهاق سواء مِن العمل أو من طبيعة الإنسان غير المتأقلمة مع تغير الوقت، غير قيظ الشمس المُشتد، الذي يُنذر بليلة باردة حد الصقيع والتجمد .

وقف أحد أبناء أباجير المُكلفين بمراقبة العمل في السور الذي أشرف على الانتهاء، فجأة سقط على الأرض، فأفاقه بعض العمال بمياه على وجهه، نظر في وجوههم والخوف والتعجب يرتسمان على وجهه، صرخ فيهم بجنون:

- -ماذا حدث ؟! أين أنا ؟!-

(٤٣)

شقّت (نور) بخنجر صدر أحد أبناء أباجير في قصره بالأرض القديمة، فصرخ بقوة وخرجت خيوط قاتمة من جرحه الذي يزداد اتساعًا وعمقًا، وقفت (نور) على مبعدة منه ترمق موته، وسط الظلام المتكون حوله .

زفرت بقوة ومحت بيدها حبات العرق التي تكونت بجبهتها، علمت من خلال صوت (أيمن) الذي يحدثها أنه تمكن من واحد أيضًا وتبعه في التأكيد (عصام)، قالت وهي ترمق خريطة أخرجتها من خصرها، فخطت بلون أحمر على إحدى القباب التي ترمز للقصور، وقالت لهما:

- -تبقى ثلاثة وعشرون قصرًا- .

فكان العدد سابقًا ستة وعشرون قصرًا من ثلاثين، فهم – نور وأيمن وعصام - ثلاثة ومُراد الذي قُتل الرابع، فتبقى هذا العدد من كمال عددهم الأصلي، كي يصلوا لفناء كُل ذرية أباجير وتحرير المستحوذ عليهم .

نزلت (نور) إلى القبو تتم آخر ما تبقى، فسارت على سلالم القبو بين جسدي الحارسين المسجيين بدمائهما عليه، اقتربت من باب السجن بعدما انتشلت المفتاح من أحد السجانين ففزع المسجون لمرأها، فتحت الباب بهدوء وهي تشير له للخارج قائلة:

- -بمجرد خروجك من القصر ستعود لحياتك الطبيعة كما كنت- .

فرّ مِن أمامها فور سماعه تلك الجملة وما إن خطى خارج عتبة القصر حتى اختفى .

وضعت الخنجر بجانب الخريطة بخصرها، وخرجت من باب القصر تركب حصانها، مُتجهة صوب قصر جديد .

---

(٤٤)

في معسكر كبير بمنطقة صحراوية قُرب القاهرة، والأرض بدأت تنهل من ثلج السماء ليكون لها ثوبًا، وقف (ويليم) مع أحد الأشخاص بزيّ عسكري يعتمر بكتفيه رتبة عظيمة، ملامحه مصرية، وخلف حديثهما جموع من الجنود خرجوا مِن خيامهم وآثار النوم بادية عليهم، فسأله (ويليم) عن عددهم تحديدًا:

- -عشرة آلاف- .

فتباينت على صفحته ملامح الاستنكار والدهشة فقال الرجل العسكريّ:

- -لا تندهش، قلّ نصف عددنا، فكما تعرف انقطعت الإمدادات مُنذ اليوم الأول لأباجير، ومع انضمام العوام في شكل المقاومة لم نعد نستطيع توفير لهم جميعًا الطعام والشراب وحتى الملبس والسكن في الخيام، فهرب الكثير منهم- .

أومأ (ويليم) مُتفهمًا وقال:

- -على الأقل هؤلاء أشدهم بئسًا مِن المُستسلمين الهاربين- .

نظر العسكريّ لساعته فأشارت عقاربها على تمام الساعة المُرادة، ففهم (ويليم) وعاد إلى السيارات حيث البقية، وسار الرجل العسكري نحو منصة صعدها بعدما شرعت تُنصب صفوف الجنود أمامها، فعدل هامته ورفعها وخطب فيهم بصوت جهوري بعبرات حماسية تشد مِن أزرهم وتزهق تعبهم، وقال لهم بعدما انتهى من الفقرة الحماسية:

- -ها قد حصلتم على راحة بعد النهار الشاق الطويل، إننا الآن في الثلث

الأخير مِن الليل سنذهب إلى قصر أباجير، في مواجهة أبناء أباجير أهدافنا الغراب ليس الأشخاص، غير أنهم يتمتعون بقوة كبيرة خارقة، لكننا لا نُريد قتل أحد، وفي مواجهة الجنود أسلحتنا متطورة عن أسلحتهم فيكفينا الإصابة عن بُعد والاحتماء بالمدرعات والدبابات والدروع التي ستزودون بها- .

وأتبع:

- -واعلموا أن مصير البشرية يتوقف عليكم، ها أنتم تكتبون سطرًا خفيًا في التاريخ، يجب أن تُحسنوا كتابته، وعندما يظهر للنور بحُلي شجاعتكم ستكونون ممجدين في العالم أجمع، يا فرسان العصر الجديد الذي سيكتب للحضارة البشرية- .

(٤٥)

قطع أباجير طوافه من فوره عندما علم باتجاه جيش صغير – بالنسبة لجيشه – صوب قصره، فسرعان ما عاد بصحبة أبنائه الذين ذهبوا معه وباقي الوفد، صعد للقبة التي فيها المرايا يشاهد ما تصوره عيون غربانه، فوجد مدرعات تسير في المقدمة فتعلن اقتراب المعركة، ومن خلفها الجنود يحملون أسلحة آلية وبعض القنابل والغاز الذي يتدلى من ستراتهم كعناقيد سامة، ودرع حديدي مُربع يوجد في قرب ذروته كوة زجاجية ليتلصصوا منها على ما خلفها، منظمين في مجموعات كُل مجموعة عشرات الصفوف يتقدمها ضابط، وفي منتصف المجموعات سيارات دفع رُباعي يعتمر على صعيدها الخلفي رشاش ثقيل يجلس وراءه شخص ليحرك دفته ويحدد هدفه .

انطلقت طلقات تصيب غربان أباجير التي في سماءهم، فسقطت الغربان واسودت المرايا فانعدمت الرؤية، وكان هذا بمثابة قرع طبول المعركة .

أعطى أباجير أوامره باصطفاف الجميع في أماكنهم حول القصر والاستعداد، كان يرغب في دخول المعركة، لكنه آثر البقاء في حجرته الفسيحة بعدما هاجمته هواجس القتل على يد الكهنة، فأمر مَن في القصر أن يأتوا له بمرايا يراقب منها وغى المعركة، وأطلق غربان كثيرة تجول في سماء الرحى التي ستدور بعد قليل، فجلس على كرسيه وأمامه ثلاث مرايا كبيرة في بهو القصر، وتحمس لرؤية جيشه الذي يتجاوز أضعاف عدد الجيش المُهاجم يفتكُ بهم، والسماء تكحلت بالبرودة وتزينت بالصقيع في ثلث الليل الطويل، وبريق

السيوف تلتمع تحت أمطار الدم التي ستسفك مُخضبة الثلج المُتساقط لتجروئهم عليه .

*****

وعلى الجانب المُتجرئ . .
أعطى (عامر) لـ (ملك) قوس وجوال به سهام حديدية مُدببة، بعدما طلبت منهم ذلك رغبة منها لتشارك في المعركة بضرب الغربان بالسهام فهي فيه مُجيدة وحازت على بطولات كما ذكرت والدتها يوم لقائهم، والثلاثة المُتبقين – عامر وويليم ووائل – قد أمسكوا حقيبة قطنية كبيرة في طول الرجل البالغ، فقسموا حملها على ثلاثتهم، فسألتهم (ملك) عما تحوي، فأجابها (وائل):
- -هذه الخدعة الأخيرة- .

*****

في الأرض القديمة . .
تلقى (أيمن) بنصل باتر جرح في جانب وجهه الأيسر فأبحرت فيها قناة مِن الدماء، فانحنى مُتلافيًا الضربة التي صوبت له من يد الحارس قاصدة عنقه، فعاجله مِن انحنائه بوخزة من خنجره تجاه خصره، فصرخ ألمًا وهو يضع يده على جنبه فأوجز عليه بغرس الخنجر في رقبته فأخرجها ومعها الدماء مُتفجرة من عنقه كالنفط من الأرض، طبعت على وجهه بعض القطرات، صعد للأعلى واختبأ بحافة عند مهد الغرفة ونظر للشخص بالداخل، فوجدها فتاة مِن أبناء أباجير، هدأ مِن أنفاسه المُتلاحقة ومحى آثار الدماء على خنجره بملابسه، وهمّ بالدخول رافعًا سلاحه .

(٤٦)

رمقت عيون جيش المقاومة أول صفوف جيش أباجير، اختلجت في نفوسهم بعض الرهبة وحيك الخوف بخيوط مرأى عددهم المهول الذي لو وقفت في أوله لا ترى القصر .

تطير كتل سوداء بخيوطها القاتمة فوق جيش أباجير- يرحون في كُل اتجاه ويسلكون درب السماء يمينًا ويسارًا، ليضفوا على عددهم طيف القوة الخارقة فوق رؤوسهم، كان عرضًا له أثره على جنود المقاومة، لكن هم من تحملوا قلة الطعام والشراب والبعض فقدان الأهل والمسكن، لن يتراجعوا بسهولة أمام هذا العرض، فمن تأصلت فيه الشجاعة صعب فراره، وهزيمته الداخلية لا تتحقق بانكساره تحت وطء السيف أرض الجسد .

توقفت المدرعات وخلفها المقاومة على مبعدة من جيش أباجير الذين طفقوا يضربون الدروع بالسيوف فأذاع صداه الخوف في ربوع هدوء ما قبل العاصفة .

لقم جنود المجموعات الأولى خلف المدرعات فوهات أسحلتهم بقنابل الغاز المُسيل للدموع، بينما تزداد قوة القرع على الدروع فتلهب الحماس والوجل معًا .

دوى صدى طلقات في أرجاء السماء لم تصل لمسامع جنود أباجير إلا والقنابل بينهم، فهوت القنابل مكثفة وسط جيش أباجير وعلى الجانبين بكثافة أقل، حتى غطى دخانه جُلّ الجيش ونثرت حالة مِن الهياج والاختناق في أرض المعركة فحصدت الفرار والعشوائية، وما زاد أمرهم سوءًا أن اندلعت من

القنابل اليدوية المصوبة على مهد جيش أباجير أصوات انفجارات ولهيب مُتصاعد في الأعين مشوبة بصفير يصم الآذان، فزادهم فزعًا وسط الصورة الضبابية الجاثمة على عيونهم .

استعرت عينا أباجير بالغضب وهو يرى هذا المشهد في مراياه، فهتف في أحد أبنائه فجاءه وأمره بتدخل جميع أبنائه في المعركة قائلًا بحسم هائج:

- -انهوا الأمر الآن- .

همّ أن يرحل بالأمر لكنه توقف عند عتبة الباب والكلمات تتخبط بلسانه حتى قال:

- -هُناك منا مَن فقد قدراته ورجع لسابق عهده- .

نظر له بذهول محموم بالغضب، همس لنفسه قائلًا وأنفاسه مُشتعلة تقاوم برد الشتاء:

- -الأرض القديمة- .

صاح فيه أمرًا:

- -أخبر الجميع أن يبحثوا في جميع القصور عن مَن يقتلهم ويمسكوا به ويجهزوا عليه . . وأن ينهوا أمر هذا الجيش في الفور- .

*****

- -أين أنتما ؟!-

تردد هذا السؤال في آذان (نور) و (أيمن) وهما يمتطيان حصانيهما صوب قصر جديد بعدما قررا الاتحاد حتى لا يُجهَز على أحدهما في مواجهة ما، علما أن السائل هو (عصام) فأجاباه بوجهتهما، فقال لهما أن أبناء أباجير يبحثون عنهم في باقي القصور، فبدأ القلق يتسرب لهما، فما تبقى من أبنائه ستة عشر يستطيعون التكالب عليهم وقتلهم، فقال لهما (عصام) بعد رنين

الصمت:
- -ابقيا عند أقرب قصر من مكان قصر أباجير الفارغ، وأنا سأنهي الأمر- .

*****

شرعت السهام تُصب على جيش المقاومة، فنزلت عليهم حتى اختلجت في ثنايا موقعهم، انحنى الجنود واختبأوا وراء دروعهم الحديدية التي راحت تردع السهام من اختراقهم، لكن استطاعت بعض السهام الانسلال من فجوات لم يدركها بعض الجنود فأصابتهم وراحت الدماء الُمنهمرة تسلك سبيلًا لها، هدأ غيث السهام مع صوت طرقات آخر السهام على الدروع، وراح صوت صياح يعلو وغبار ينتشر صوب جيش أباجير المُتقدم نحوهم، ضربت المدرعات المُتقدمين، فلم يكُن هذا حاجزًا أمام عددهم الكبير فانهمروا عليهم كالسيل، يضرب جنباتهم، فالتحم الجيشان ببعضهما وراحت تدور الرحى ويعلو الوغى .
وأبناء أباجير يحومون بكتلهم السوداء فوقهم، فيهبطوا عليهم بقوة فتسلب البعض أرواحه وتصيب مَن مروا بهم، تمر خطوط سوداء بعدد منهم فيقعوا جميعًا، بدأت الغربان تنعق في سماء المعركة مُشجعة، وراحوا يضربون حديد المُدرعات بقوة حتى ينتزعوا مَن في داخلها ويفتكوا بهم .
الفزع سيّد الموقف في قلوب الجميع، لكن الكفة ها هي تُقلب لجيش أباجير المُتقدم عليهم في صفوفهم وأبنائه الذين يضربون صفوفهم بقوة .
عبرت كُتلة سوداء فوق السيوف والرصاص والدماء الممزوجة بهما، رمقت مجموعة من المقاومة يتفوقون على جنود أباجير المحيطين في أوله، فنزلت كالصقر عليهم تشتت تكتلهم وتزهق تفوقهم، بينما هي على أعتاب سحقهم، إذ هي في غير طريقها بعدما صوبت لها كتلة سوداء أخرى لكمة

أردتها بعيدًا متأوهة وسط جيش المقاومة الذي لم يلتحم بأكمله، فوقف ضاربها ناحية المقاومة فكان (عصام)، ثم قفز عاليًا وراح يُقاتل أبناء أباجير الآخرين بغير هوادة .

وفي مدى جيش أباجير هرج ومرج كبيران، فمجموعة بدأت تُهاجم قلب الجيش المُتقدم، فكان الجنود المُستسلمين في أول معركة هم مُنفذوا هذه الثغرة بقلبهم، فشغلوهم عن مواجهة المقاومة وغور الثغرة لا يسبر لبسالة صانعيها .

*****

في مؤخرة صفوف المقاومة، تسمع حديث قوي مُضطرب بين (ويليم) و (وائل) و (عامر)، فقال (وائل):

- -عدم خروجه يعني خوفه من أن يقتل، يعني أن اليأس دب فيه حقًا وآمن بمقتله، علينا التحرك الآن، لأن لو انقضى اليوم سيستبيح الجميع، بعد شهر كيهيك لن نستطيع فعل شيء- .

وأتبع وهو يحمل الحقيبة القطنية الكبيرة:

-- هيا بنا نستدعي الكهنة قبل أن يفترس جيش أباجير باقي الصفوف- .

*****

صعدت (ملك) على صعيد إحدى العربات الحاملة للسلاح الثقيل، احتمت بقائمة كابينة القيادة والثلوج تغطي رأسها فتزيد تمويه اللون مع العربة البيضاء التي تعتليها، وراحت تضرب بقوسها وتحاول إصابة الغربان من حين لآخر، صعدت بعينيها ترى ما يدور في أرض المعركة ومن ستصيب، إذ هاجمتها كتلة سوداء فانحنت صارخة من هول المفاجأة والعربة ترتج،

فمرت هذه الكتلة السوداء من فوقها وتوقفت على علو منها، فرمقت الكتلة السوداء وهي تهم بالانقضاض عليها .

****

نحو فراغ قصر أباجير بالأرض القديمة ركض (نور) و (أيمن) على حصانيهما وخلفهما باقي أبناء أباجير، أغلبهم من الفتيات فالرجال البقية سيقوا لحتفهم، تعثر حصان (نور) بحجر فانقلب على الأرض وسقطت بجانبه متأوهة، رمق (أيمن) سقوطها وهو يتقدمها، ولمح ببصره فتاة تمسك خنجرًا تعدو بحصانها نحوها وهي تشهره، فعدى صوبها مادًا يده ليلتقطها أمام مد الفتاة تلك للخنجر لتقتلها، و (نور) مازالت تحاول جاهدة الخروج من غياهب المسقط المُؤلم، فزعت لمرأى الفتاة قادمة نحوها بالخنجر والتفتت لترى (أيمن) وهو يجاهد بحصانه لانتشالها من مسقطها، فبدا المشهد كمارثون مُتعاكس للوصول إلى الهدف، حتى اقتربا منها بشدة والخنجر في مواجهتها يلتمع ويصيح أنا فائزها .

*****

أطلقت (ملك) سهمًا صوب الغراب بجانب الكتلة السوداء المُهاجمة لها، فأصابته وسقط، فهوى عليها السواد غبارًا بلا هيكل، وجسد الفتاة بجانب العربة يستفيق .

*****

تلاشت الفتاة من على الحصان فمر دون وجهة وسقط الخنجر في الأرض، والتقطها (أيمن) سريعًا فوجدت نفسها تحبو في الهواء فوق حصانه فهوت فجأة خلفه، وهو يأخذ اتجاهًا آخر نحو قصر أباجير وساحته المطموسة

الفارغة، ولا يزال بقية أبناء أباجير خلفهما يعدون .
وصلا أخيرًا للمكان المنشود وهما سابقيهم بعدما مرا بخطوط السور الذي كان موجودًا، فوجدا (عصام) في منتصف حدود القصر، فنظرا له بعيون تحمل سؤالًا واحد - ماذا سنفعل ؟! -

*****

مرق (عصام) فوق منتصف جيش أباجير حيث الثغرة، فأوقع العديد منهم على الأرض، هوى لهم بجانب صانعي الثغرة وراح يلاكمهم بيده القوية، فيتلافى السيوف ويردها لكمات قوية ويساعد الجنود الآخرين، ارتفع مرة أخرى عندما رأى كتلة سوداء ذاهبة نحو جيش المُقاومة الذي بالكاد يردع جنود أباجير العاديين، فلاحقها في السماء، حيكت بينهما معركة شرسة مُظلمة كنسور مُتعاركة على غذاء، فنال منها (عصام) بضربة قوية أردتها من السماء فبدت كشهاب أسود يهوي، ولاحق غرابها حتى تمكن منه ومزقه فاستحال إلى رماد بين يديه .
عاد مرة أخرى لجيش أباجير محاولًا إشغال هذا الجيش الذي يتقدم نحو المقاومة وينهمر عليهم كأنه نهر لا ينضب، راح يهوي عليهم من السماء وهو يتلافى السهام المُنطلقة نحوه، لكن واحدة أصابت غرابه، فسقط من علوه فخط بجسده على الثلوج والرمال أسفلها حتى كادت تقطع جلده، كانت ستنهال عليه جموع جنود أباجير الساقط بينها، لكن أمر أحد أبناء أباجير بأن يحضر ويمثل أمام أباجير قبل قتله .

*****

اندهشا (نور) و (أيمن) من اختفاء (عصام) من أمام أعينهما، وارتاع بهما

الخوف لأنه ذهب قبل أن يخبرهما لماذا جذبهما هُنا، فأصبحا على مهد المُحاصرة مِن أبناء أباجير القادمين صوبهما، خاصة وأن الساحة ضخمة واسعة، من السهل صناعة دائرة وحصارهم وإن قلّ عددهم لأربعة عشر .
لم يعرفا أيكملا بحصانهما هربًا أم يواجهانهم، فاختارا المواجهة عندما اقتربوا منهما للغاية، تقهقرا قليلًا حتى يدركا أبعاد المكان ويديرا الموقف، لكن لم يمهلوهما الفرصة فركض صوبهما شخص وما أن اقترب وبحركة مباغتة خط بخنجره على صدر (أيمن) بدموية، فسقطا الاثنان على الأرض، ومُصيبه أيضًا عندما أمسك (أيمن) بتلابيب ثيابه أثناء مسقطه، فانشغل (أيمن) خلفها بمصارعة مُصيبه، نظرت (نور) أمامها لتجد البقية .
يتقدمون تجاهها وهي ترجع للخلف بيدها محاولة الابتعاد عنهم، لكن لا مفر، فولت وجهها لهم مُستسلمة أمام الخناجر المرفوعة صوبها وأغمضت عينيها مُنتظرة لحظة الألم الأخير، فجأة صدر صوت اصطدام حديد، فلم تعلم ماهيته حتى فتحت عينيها، فوجدت مَن كانوا أمامها مُنحسرين داخل مصيدة حديدية تُغلق من الجانبين شملتهم جميعًا، مُدببة النتوءات حتى راحت تغور في أجسادهم وتنهل مِن أجسادهم، حتى تحولوا لخيوط سوداء تنتشر وتنسل بين أغوار المصيدة حتى خلت مما فيها وأصبحت تقبض على الفراغ .
أدارت وجهها للخلف فوجدت (أيمن) وبعض الخيوط السوداء تُحيط خنجره ويرفع مسمارًا ضخمًا من غور في الأرض، وقال لها:
- -هذا ما خبأه (عصام)- .
تقدم نحوها وهو يسندها على النهوض وقال لها:
- -هيا بنا يجب أن نحرر المساجين المتبقين- .

(٤٧)

ترى الكُتل السوداء الحائمة بأرض المعركة جيدًا، لكنها سقطت وهوت فجأة كضوء انقطعت عنه الكهرباء، وبحركة سينمائية مُتقنة ندور بالكاميرا لنبتعد عن سماء المعركة وتلاشي الكتل المظلمة إلى شرفة غرفة أباجير ببطئ حتى تخفت أصوات المعركة وتهدأ لتستقبل صوت إغلاق الباب الغرفة ويظهر (عصام) جاثم على الأرض وأمامه أباجير الذي رمقه في احتقار وتعال، فنهض من كرسيه وراح يلف حوله وهو مُقيض الأطراف أمامه، وقال له:

- -كان يجب أن أتخلص منكم في أول يوم عُدت فيه- .

وأتبع:

- -أنتم الخطر الحقيقي علي بعد الكهنة- .

ضحك (عصام) كي يبدد أي رهبة له داخله قائلًا:

- -هكذا الديكتاتور، يجب أن يتخلص مِن كُل مَن ارتقوا به للحكم، ألم تفكر يومًا في تغير ما تفعله، نفس الأخطاء التي وقعت بها تكررها . . فتظلم وتسفك الدماء وتحكم عنوة ثم تأتي وتتسائل في استنكار لِمَ الناس يكرهونني ؟! فأنت مَن أجبرتهم على كرهك وتمني الخلاص منك . . منطقك واهٍ ضعيف لا يحتمل، أي عقل مُفكر يدمره، فكر في أخطاءك يا سيّد أباجير- .

قال أباجير رافعًا رأسه في غرور:

- -ليس لي مِن أخطاء، إنها الخيانة التي تغوي قلوب الضعفاء والجبناء، قد بنيت حضارة عظيمة لها شأن عالٍ وصدى في الأمم، وجيش يسد عين

الشمس، ثم تقول لي أن أخطاءي هي سبب التدمير- .
- -الحضارة مهما ارتقت في العظمة تنهار مادامت مبنية على ظلم العباد والتجهيل، انظر إلى نفسك ماذا تفعل، تجبر شعوبًا على التبعية بتذوقهم المر والمصاعب والمأسي ولم تفكر لحظة في كم فقدوا بسببك أحبائهم وكم ذاقوا مِن الجوع واليتم والتشرد بسببك، أعلى هذا الأساس تبني قصور حضارتك ؟!- .
قال أباجير وهو يجلس على كرسيه في هدوء:
- -المريض يجب أن يُعاني كي يبرأ من الداء، وليس كُل المرضى لديهم الخبرة ليعلموا أن هذه المُعاناة يتبعها الشفاء- .
- -أنت الداء يا سيد أباجير- .
قال وقد استشاط غضبًا واحمرت وجنتيه:
- -قد سأمت مِن حديثك الهازي والسخيف- .
قال له (عصام) بنبرة قوية صلفة:
- -سوف تموت الليلة يا أباجير- .
أخرج سيفه دون تردد، وهم أن يهوي به على عنقه، فجأة تحطمت المرايا التي كانت أمام مجلسه وخرج منها الكهنة الثلاث بزيهم – العباءة السوداء الطويلة والقلنسوة التي تغطي ملامح وجوههم – وفي أيديهم الفؤوس تلتمع، فدفع أحدهم أباجير ليتراجع بسيفه عن عنق (عصام)، فقطعوا تكبيله وأنهضوه وهم يواجهوا أباجير، فنظر لهم وهم أمامه شاهرين فؤوسهم في مواجهة سيفه، ورسم على وجهه ابتسامة ساخرة وقال:
- -ها أنتم ذا، لم تخلفوا وعدكم بالمجيء في آخر كيهيك- .
وأتبع وقد زادت البسمة الساخرة اتساعًا:

- -لكن لا أعرف إن كنتم ستكملون وعدكم بسجني أم لا- .
قال أحدهم بصوت جهوري:
- -أنت هالك يا أباجير- .
صاح بقوة كأنه أسد يزأر:
- -أنا أباجير . . حاكم العالم وأملك الظلام بكل ما فيه- .
قال الكهنة بصوت مُوحد:
- -لا تنسَ أننا مَن صنعناك، فلا شيء يفوق الطبيعة معنا، فقاتلنا رجل بسيفك- .
فقال أباجير:
- -قد أينعت أعناقكم أمامي الآن- .
وأردف رافعًا سيفه في موضع الهجوم:
- -وحان وقت حصادها- .
هجم عليهم بحد سيفه، فشتت صفهم وانقسموا لفرقين، الكاهن الأول و (عصام) وأمامهما الكاهن الثاني والثالث وفي المنتصف أباجير، تقدم الثاني مُلوحًا بفأسه، فانحنى مُتلافيًا إياها وضربه بقدمه في صدره فدفع به بعيدًاً ساقطًا، هجم عليه الاثنان الآخران فظلا معه في صراع يتصد فيه الفؤوس ويُصد له غاراته بالسيف، أمسك (عصام) بكرسي من الطاولة ودفعه في الهواء صوبه لكنه ردع الكرسي بضربة من سيفه فجاءت شذايا خشبه في ساق الكاهن الثالث، انتهز أباجير فرصة تألمه فلوح بسيفه قاصدًا عنقه فأسقط الكاهن نفسه فتألم أكثر، أكمل هجومه عليه فهوى بحد سيفه على مسقطه فتدحرج الكاهن ناجيًا بنفسه من غور السيف، هوى أحدهم بالفأس على ظهره فصرخ بقوة تنشج له ألمًا لا يحتمل، فأدار يديه في الهواء

فلطم وجهه بقوة فسقط وانكشفت القلنسوة التي تُخبئ ملامحه فكان صاحب الملامح (ويليم) نظر له في اندهاش، فأخرجه من اندهاشه الكاهن الثاني بضربة قوية على صدره خطت عليه بقوة حتى تعمق ثغره، فأصبحت أنفاسه ثقيلة ونظره مشوش، فسمع صياح الأخير وهو يثب من على الكرسي عاليًا في الهواء وهوى بفأسه على رأسه غارسًا إياها فيه كي تتجذر فيه الآلام وتسقى بدمائه فتحصد روحه، تراجع للخلف في خطوات عشوائية مُتخبطة حتى وصل سور الشرفة فسقط منها بالفأسين اللذين يُزيداه ثقلًا في سقوطه على ساحة القصر، فنزلوا له سريعًا وكُل منهم يكشف عن وجهه فكان الثاني (عامر) والثالث (وائل)، لكن المعركة لم تنهتِه بالخارج، نزل (عصام) مُتأخرًا عنهم لأنه جلب (نور) و (أيمن) اللذان كانا في أحد غرف القصر، وتأكد من تمام مهمتهما في تحرير المساجين .

فجأة توقف كلامهم تمامًا وشُلّ تفكيرهم وتلاحقت أنفاسهم في عنف عندما رأوا جسد أباجير ينهض من مرقده !!

(٤٨)

يبزغ مِن جسده طيف أسود يصرخ ويتلوى مِن الألم، يظهر عليهم مِن كُل أجزاء جسده وهو يقاوم نزيفها القوي، ظل يهوي تدريجيًا وهو يقاوم السقوط، يصرخ كوحش سُلخ جلده حيّا، تتقلب روحه في سجايا العذاب والألم، سقط على ركبتيه وخفتت حركته وهوى مُستسلمًا ورأسه مُطرقة تُلامس الأرض، كأن هذا موته الثاني بعد ما قُتل جسده الفاني .

هدأ الجميع وتخلصوا مِن تربصهم، دقت القلوب ثانية عندما خرجت روحه السوداء مِن جسده راكضة صوب (نور) !!

تلبس بجسدها ودخل به، ساد الصمت مدة ليست بالقليلة و (نور) على ملمحٍ واحد، زائعة العينين واجمة الوجه ثابتة الحركة فاغرة فاها، فجأة أطلقت صرخة مدوية كصواعق أسقطت الجميع أرضًا يصمون آذانهم مِن الألم .

تحركت حركات عشوائية وسقطت على ركبتيها مُعتمدة بكفيها على الأرض مُطرقة الرأس للأسفل، ران الصمت مرة أخرى لكن كان هذا الصمت الذي يسبق العاصفة .

*****

في قصر (نور) بالأرض القديمة

وقف أباجير مُشوه الجسد يصرخ في (نور) بقوة تستنفد كُل ما فيه، رفعت خنجرها وهو يتقدم بخطوات ثقيلة المسير نحوها، فجأة ظهر من خلفها

(أيمن) ليقف أمام أباجير وقال له:
- -هذا الجسد لـ (نور) ليس لغيرها- .
وبدأ عراكهما .

*****

رفعت وجهها للسماء وهي تصرخ وعروق سوداء تجتاح وجهها، خرج مِن ظهرها طيفان يصرخان بعنف، بزغا مِن صدرها وهما يتعاركان بضراوة، يتنازع الطيفان والآلام تستبد بها .

*****

بحركات رشيقة يضرب (أيمن) أباجير الذي يمسك سيفه بوهنٍ وهزل زائغ العينين، هجم عليه بالخنجر فتناثر شرر إثر احتكاك السيف به، كان هم أباجير الشاغل هو الاستيلاء على جسد (نور) الآن، ليقو ويعيد بعث نفسه من جديد، تقدم ناحية (نور) وفي جسده آثار قوة مُتبقية فجمعها بيده وهو يدفع حد سيفه نحوها فتجزت بالجسد، ولكنه كان جسد (أيمن) الذي تلقى الضربة مكانها، فشهق بقوة وتقطعت أنفاسه، نظر لـ (نور) نظرة أخيرة مُودعة، وسقط على الأرض .

*****

هدأت الحرب بين الطيفين، نهضت نور مِن مجثمها ومايزال وجهها مُطرق للأسفل وشعرها يحوّل بين الناس ومرأها، رفعت وجهها بهدوء تجاههم، بابتسامة تصب عليهم الرعب صبًا، توجس الجميع وعاد التربص سيّد أجسادهم .

ضرب (ويليم) بمسدسه الذي أخرجه من خصره طلقة فعبرت بجانب خصلة مِن خصلات شعرها فنظرت له مُشتعلة الغضب وهجمت عليه كحيوان ضارٍ، أوقعته أرضًا وراحت تجرحه بأظافرها وتنشب فيه الدماء، كومت قبضتها تجاه صدره ونزلت بها عليه، تلقى الضربة وهو يرجف بقوة كبحر ضربه زلزال أهاجه، بثق مِن فمه دماء، كومت الأخرى وهي تصوب تجاه رأسه، وراح يتحامى بيديه، هوت بها على الأرض، فنظرت حولها فوجدت (عصام) قد سحبه مِن تحت موضعها الحيواني .

اعتمر بها الغضب ودب في رأسها الجنون، صرخت كما لم تصرخ مِن قبل وبدأت عيناها تُغشي الدُنيا وتملأها ظلام .

صوب (ويليم) مُسدسه تجاهها فغيّر وجهته (عصام) وهو يُخفض يده لتستقر الرصاصة بين قدميها المفتوحتين، الكوكب كُله يستبد فيه الظلام ويُعاد إلى خيوطه العتمة، يحيط الظلام جُلّه وينحسر الضوء سريعًا، صرخ (عامر) فيهم وسط صراخها المُتقطع:

- -يجب أن نقتله وهو بها، سيُبتلع الضوء كله ولن نستطيع إمساكه أبدًا- .

رد (عصام) صراخه عليه صائحًا:

- -لن نقتل (نور) مهما حدث- .

الظلام أغلق العالم أجمع إلا المنطقة التي هم فيها، أمسك (ويليم) مسدسه مِن جديد وراح يصوب عليها، صرخ (عامر) مرة أخرى:

- -سيبتلعنا الظلام يجب أن نقتلها- .

الظلام يقترب يحارب الضوء بضراوة ويبتلعه مِن كبد السماء، الظلام ينزل مِن السماء لاهثًا للوصول للأرض، يسارع بقوة وبه وجوه الكثير يصرخون كمحاربين يسفكون دم الأعداء، أطلق (ويليم) رصاصة استقرت في ساقها

آلمتها لكن لم توقف الزحف المُقدس للظلام، قبض (عصام) على فأس مُلقى على الأرض بيده وقال هامسًا لنفسه:

- -لدي حل أخير- .

أطلقها بقوة يده وانطلقت تعدو والجميع يترقب ماذا سيحدث، الفأس تطوي الريح مُلتفة والظلام يطوي السماء زاحفًا إليهم، أغرّق الظلام الجميع وكان آخر مُقاتلي الضوء المذبوحين عند (نور) والفأس المُوجهة لها تقترب مِن ملامستها، غشى الظلام مشهدهما .

الصمت أطبق على الصدور بما لا تطيقه، تكاد قلوبهم تثب مِن صدورهم مُنتحرة، الصمت والظلام بشعان، يُشعان أكثر مما يخفيان، تُفزع القلوب، يُحاك لها ثوب الوجل والاضطراب، مشاعر كثيرة مُتداخلة مُتشعبة مُتقاتلة في قلوبهم، كوكب يُباد عليه كُل المشاعر ولا يبقى إلا القوي .

نعيق غراب، تبعت صرخة قوية، انجلى الظلام، راح الضوء يُحرر أرضه المُغتصبة، يكشف عن مباهج الحياة دون مخاوف عتمتها، كشف عن مشهد (نور) الجاثمة أرضًا، وطيف أباجير فيها مُعذبُ يصرخ يستغيث وقد استبد الخوف بنظراته .

الفأس لمعت تحت خيوط الشمس وأعلى صدر غراب أباجير المُنغرس فيه، قال (عصام):

- -هذا حلي الأخير- .

ترترقت خيوط سوداء هُلامية من الغراب، راح يخرج مِن جسده دخان أسود سرعان ما التف حوله إعصار قاتم يسحب روح أباجير إليه، يتشبث طيفه بالأرض فيبتلعه الإعصار، يحاول الخروج منه فيلتهمه مِن جديد، محاولات مستمرة لمقاومته دون جدوى، حتى زادت قوة الإعصار وزاد عدو

الإعصار حول مركزه وحوافه بشدة، اخترق الأرض وهوى الإعصار للأسفل حتى غطته الأرض تمامًا .

فجأة هوت جميع الغربان في الأرض، كانوا بالمئات يسقطون على الثلوج وفوق المعركة، بدأت الأرض تبتلع قصر أباجير كانوا هُم في الساحة مُراقبين قبابها العالية تنزل تحت الأرض، حتى اختفت تمامًا وكذلك السور، لم يبقَ إلا الإضافات التي بناها المُهندسون، فكانت مثل تلة متوسطة الحجم، قطعوا رأس أباجير وصعد (وائل) أعلى باقي السور، وهتف في الجموع المُتقاتلة التي شرعت تلتفت إليه بعد سقوط القصر:

- -ها هو أباجير سيدكم، رأسه يقطر منها الدماء وقد لقي حتفه، أما أنتم فكنتم له أتباعًا، بل عبيدًا، بعتم أرواحكم وعقولكم من أجل فتات طعام وهيبة كاذبة، فتوقفوا يرحمكم الله، فلولاكم ما ظلم- .

(٤٩)

موت أباجير لم يكُن نهاية الكوارث، توابع ترك حركة الكوكب تعود لمجراها لها أثر كبير، كأنك تُمسك بحبل مطاطي مربوط جانبيه، كلما شددته أكثر كلما زادت الخطورة لو تركته فجأة، فأثر عدول سرعة الأرض عما كان مُجبرها عليه أباجير، فأحدث احتكاك بين جميع الطبقات وكلما مرّ الوقت زاد الاحتكاك مما يترتب عليه زلازل مُدمرة ضخمة وما ينتج عنها، حتى تصل الأرض لسرعتها القديمة وتستقر، فنشرت سريعًا نشرات وبرامج توعية كانت مُجهزة مُسبقًا مِن قبل ثلاثتهم حتى تصل لجميع الناس بجميع الوسائل، فانتشرت الملاجئ والمخابئ، وطفق كُل فرد على الأرض بالبحث عن ملاذ آمن وغذاء يكفيه، وفي سبيل ذلك انتشرت الجرائم والسرقة والقتل على أبسط الأشياء، حتى تتابعت الزلازل بقويها وضعيفها، ومرت بزهق الأرواح والفقد والانهيار والتشرد حتى ظهرت المجاعات في بعض الدول .

وعادت الأرض إلى طبيعتها ومَن عليها ليس كذلك، ولكن يجب أن يتداعى الجسد بالسهر والحمى لجزءه المحموم، فبدأت الدول الأكثر استقرارًا في مساعدة بقية الدول التي تشرف على حافة الهاوية، وبدأت الأمم تنهض من مرقدها، واللصوص إلى جحورهم أو مناصبهم، وأمور العوام إلى روتينها، لكن بقيت ذكرى أباجير وما فعله خالدة، وكذلك علت شهرة مَن قتلوه ألسنة الإعلام .

*****

في أول لقاء تلفزيوني معهم – ويليم وعامر ووائل – على قناة BBC البريطانية نظرت لهم المذيعة الشقراء وفي عينيها الذهول مما روه، وعن خططتهم في كُل ذلك كما حكى (وائل) لـ (ملك) بالكهف، فقال (عامر):

- -لذا أتقدم أمامكم بأوراق تدينني وتدين (ويليم)، وكل مَن مولوا وشاركوا في هذا الأمر، بداية من الجنود الذين أمنوا المكان قيادات الجهاز المخابراتي الأميريكي الذي موّل ذلك المشروع والأشخاص المعينين لمتابعته، وأسماءهم جميعها معنا في هذا الملف (رفع الملف ليدخل في حيز رؤية الكاميرا وليظهر جملة - سري للغاية - بمنتصفه)- .

وأتبع (ويليم):

- -وهُناك نسخة من هذه الأوراق وصلت بالفعل مُنذ قليل للمحاكم الأمريكية التي سنُحاكم أمامها ونأخذ العقاب الذي نستحقه- .

ونهضا الاثنان وذهبا عن حيز الهواء، فزاد ذهول المذيعة والصمت الذي غلفهم، حتى قال (وائل) الذي مازال جالسًا بابتسامة ماكرة:

- -هذه المرة نحن الذين أنقذناكم وليس كما تدعون- .

ثم أتبع بهدوء كأن لم يحدث شيء:

- -يُمكنك إكمال الأسئلة لي- .

تلعثمت المذيعة قليلًا فنظرت للورقة التي بيدها وتلت منها السؤال:

- -لماذا لم يستخدم أباجير قوته في مواجهتكم ؟!-

استحسن (وائل) السؤال وأجاب:

- -هذا سؤال جيّد لأنه يجيب في سبيله سؤال آخر وهو لماذا هاجمناه بزي الكهنة، الأمر كان مُستند على الإيحاء النفسي أكثر مِن أي شيء، فأوحينا له بمساعدة الكهنة لنا وهو ما له أثر نفسي كبير عليه لأنهم كانوا مَن سجنوه

هذا السجن الطويل، فمن الطبيعي عندما نظهر له، نظهر له في زي الكهنة وفي اليوم الذي سُجن فيه آخر يوم في شهر كيهيك من التقويم القبطي الموافق ٨ يناير من التقويم الميلادي، كي نُوحي له بأنه فاقد القدرة أمامنا، بدليل عندما انكشف الأمر أمامه وتلبس بجسد (نور) أطلق ظلامه رغم أنه كان يمكنه إطلاقه مسبقًا، لكن اللعبة كانت نفسية قبل أي شيء- .

أومأت برأسها متفهمة وطرحت سؤالًا آخر:

- -ما سر الأرض القديمة ؟! وأين أباجير الآن- .

- -الأرض القديمة هي مكان سجن أباجير وأبنائه يربط بينه وبين عالمنا ثقب أسود يطوي المسافة الغيبية بيننا، مكانهم العام، والقصور والمزارع والنهر الذي بالخريطة التي قصصنا حكايتها، ليست هي الأرض القديمة، بل هي جزء منه بنى عليه أباجير وأبنائه قصورهم، أما عن مكان وجود أباجير وأبنائه أيضًا فأتوقع أن يكون في الأرض القديمة لكن في مكان سابق لمرحلة القصور المُبناه- .

- -هل تتوقع عودته ؟!- .

- -نعم بالطبع- .

وأتبع بنبرة متوجسة:

- -في المرة القادمة التي سيعود فيها أباجير فلن يرحل- .

لنعرف الآن مصير أبطال قصتنا وأين حال بيهم الأمر كسطور بسيطة تُكتب قبل تتر النهاية . .

(عامر) كان يحمل الجنسية الأمريكية فحُكم بجانب (ويليم) في المحاكم الأمريكية هم وجميع مَن قدموا أسماءهم لتورطهم في هذا الأمر . . وحُكم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة .

(نور) حُكم عليها بالمؤبد في المحاكم المصرية لقتلها (مريم) وزوجها يوم عُرسهما، ثم خُفف الحكم إلى خمسة عشر سنة بحجة أنها لم تُكن في كامل قواها العقلية كما أثبت مُحاميها، وتم تخصيص لها سجن انفرادي لأن قواها الخارقة مازالت فيها ولم يجد أحد غرابها لينهي أمره، وآخر شيء فعلته قبل ترحيلها للسجن، زيارة قبر (أيمن) .

أما (ملك) فعادت لطبيعة حياتها ووالدتها المُسنة في الشقة القديمة واختفت في صمت .

(عصام) عاد لعمله بل رُقي إلى رتبة لواء نظرًا لما قدمه في خطة قتل أباجير، وتم إعداد جنازة عسكرية لـ (مُراد) بعدما اتفقوا ألا يُخبروا أحد بخيانته .

أما (وائل) فعمل في أكبر الصحف المصرية وشغل مقعد مُدير التحرير بعدما ذاع صيته أكثر باختفاء الآخرين عن الأنظار وللقائه الشهير فيBBC البريطانية، ويتفرغ الآن لكتابة كتاب يروي فيه تفاصيل ما تم مُنذ بداية الأحداث في الذكرى السنوية لقتل أباجير .

*****

انتهينا الآن . . بعدما تعمقتم معنا فيما حدث بتفاصيله وزواياه، بكل

خوفنا ويأسنا وخداعنا، قد تعرفون مَن يقص عليكم الرواية وقد لا تعرفون . . أنا الصحفي (وائل الجارحي)، قد كتبت لكم آخر كلمات روايتي عن هذا الثقب الأسود الذي ابتلع الأرض وهدد وجودها، بكل حيادية وتحري للدقة بقدر استطاعتي وبرضاء ضميري .

احترتُ كثيرًا بما سأسمي الرواية ؟!

أأسميها - نور - ؟! فهي بدايتنا ولها دور كبير بالأحداث .

أم أسميها - أباجير - ؟! فهو أكثر مَن جذب أنظار العالم وعرضنا جميعًا للخطر .

أم أحد أسماءنا نحن ؟!

لكن في النهاية – وبعد حيرة طويلة - اهتديتُ لاسم - ثقب أسود - فالثقبُ هو بطل حكايتنا، هو القوى المحركة لكل ذلك، الذي لولا صفاته ما حدث ذلك أبدًا .

مشهد ما بعد النهاية

حدث مؤخرًا مشهد يجب أن أقصه عليكم، ومِن حُسن الحظ أن الرواية لم تدخل حيز الطبع بعد، فأستطيع إضافة هذا المشهد، ككاتب لهذه الرواية لا أعرف أين سيأول الأمر، أو سيكمل أم لا، لكني وجدتُ من الأمانة إخباركم به، وسبرًا لأغوار فضولكم التي قد تكون تفجرت بعد هذه الكلمات .

*****

استيقظت (نور) مِن نومها فزعة، ما زالت الجدران تردد صرختها المدوية في أرجائه، كابوس آعاد عليها ما حدث آخر مرة، روح أباجير وهي تسأثر بها و (أيمن) يقاومه حتى موته، الألم والغياب عن العالم والفقدان، كُل شيء صعب، فجأة فُتحت زنزانتها فهتف العسكري لها وأمرها بالمجيء معه .

سارت معه حتى وصلت لغرفة مأمور السجن، ووجدت عنده العقيد (عصام)، تفاجأت لزيارته، فقطع حبل تفكيرها عن سبب الزيارة قول المأمور في أنه سيتركهما وحدهما، فخرج بالفعل، سألها (عصام) عن حالها بالسجن فقالت وهي ترسم على شفتيها ابتسامة زائفة:

- -جيّد، باستثناء بعض الكوابيس- .

أومأ لها برأسه، فجأة وقف وأمسك حقيبته ومدّ يده بداخلها وأخرج منها الزيّ الغريب التي كانت ترتديه حينما كانت مع أباجير، عرضعه أمامها حتى تباينت عليها الحيرة فقالت له:

- -ماذا ترُيد يا سيادة العقيد ؟!-

فأجاب بحماس:

- -ما رأيك أن تكوني بطلة خارقة ؟!-

- -ها !!-

تمت بحمد الله

القاهرة ٤ يناير ٢٠١٦

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub